

صلاة الجماعة

وآثارها على الفرد والمجتمع

إعداد

شعبة التبليغ - قسم الشؤون الدينية

صلاة الجماعة

وأثرها على الفرد والمجتمع

إعداد

شعبة التبليغ

قسم الشؤون الدينية



اسم الكتاب: صلاة الجماعة وأثرها على الفرد والمجتمع

إعداد: شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينية

الناشر: العتبة العلوية المقدسة

المراجعة: شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينية

الطبعة: الأولى

سنة الطبع: ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥م

قياس: ١٤,٨ × ٢١

عدد الصفحات: ٨٠

عدد النسخ: ٢٠٠٠٠

الموقع الإلكتروني: www.imamali.net

البريد الإلكتروني: tableegh@imamali.net

موبايل: ٠٧٧٠٠٥٥٤١٨٦


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

إن من المهم لفت نظر المؤمنين إلى بعض المفاصل في الشريعة الإسلامية من أحكام وآداب، وتسليط الضوء عليها لاكتناه معانيها والغوص فيها لإخراج الدرر المكنونة فيها وما ينفع الناس، ليعم نفعها وينتشر عطرها، ومن أبرز هذه الأحكام وأكثرها جدارة في أن يتأملها المتأملون فيستوعبوها ويستخرجوا منها كنوز المعرفة بما يعبِّد لهم طريق الصلاح والخير- صلاةُ الجماعة، فصلاة الجماعة ليست مجرّد عبادة شكلية، أو عمل طقوسي، بل تمتاز عن غيرها بأن لها مردودا اجتماعيا، فهي شعيرة ذات رسالة، تريد أن تكرّس قيماً إسلامية في المجتمع، ولها ذلك البعد التربوي، حيث تربِّي المجتمع على تعاليم الإسلام وأخلاقه وقيمه، وهذا أمر يمكن ملاحظته من خلال تأمل الأحكام التفصيلية لصلاة الجماعة في مجموعها العامّ.

ومن القيم التي تغرسها صلاة الجماعة في المجتمع مسألة القيادة الاجتماعية، والالتفاف حول الرمز المجسِّد لمعنى الصلاح والفضيلة والخُلُق الرفيع، وكذلك فهي تكرس معاني التسامح وحب الخير ونشر الفضيلة والاندماج في المجتمع ومتابعة شؤون الآخرين ... إلى غير ذلك من المفردات التي لا يمكن التغاضي عنها أو المرور عليها مرَّ الكرام.

لذا ومن منطلق إغناء المكتبة الإسلامية بالكتب الاجتماعية المفيدة والتي تتخذ من الدين الإسلامي منطلقا لبناء المجتمع بناء صحيحا وفق تعاليم الشريعة السمحاء، دأبت شعبة التبليغ في العتبة العلوية المقدسة أن تركز على هذا الجانب

المهم فتعد مجموعة من الكتب في هذا المجال، وقد صدر في هذا الإطار مجموعة من الكتب، منها ما يخص الزواج في الإسلام ومنها ما يخص تربية الطفل ومنها ما يسلط الضوء على الحق العام والمشتركات، ومنها هذا الكتاب الذي يسلط الضوء على أهمية صلاة الجماعة، ويبين بعض الأبعاد الاجتماعية التي تسعى تشريعاتُها الحكيمة في ترسيخها في المجتمع وبين أفراده، ليكون هذا الكتاب حافزا ـ إن شاء الله ـ للمؤمنين في أن لا يفرِّطوا بهذه الشعيرة المهمة ويحافظوا عليها، ليجنوا ثمارها التي أعدها الله للمؤمنين السائرين على هَدي الإسلام العظيم المتبعين لتعاليمه الحكيمة.

نسأل الله العلي القدير أن يأخذ بأيدينا لما في الخير والصلاح، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

شعبة التبليغ

٦/ شعبان/ ١٤٣٦هـ

الفصل الأول

نظرة حول
تشريع صلاة الجماعة

تشريع صلاة الجماعة

من البرامج العبادية المهمة، ذات الطابع الاجتماعي: صلاة الجماعة، يقول تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[1]، والتي يتّفق جميع المسلمين على أصل تشريعها في جميع الصلوات الواجبة، كما يتفقون على عدم صحة صلاة الجمعة والعيدين ـ في حال وجوب صلاة العيدين ـ إلاّ جماعة، ووقع الخلاف بين الفقهاء في حكم صلاة الجماعة في الفرائض اليومية، والآراء في حكمها ثلاثة:

الأول: **واجبة فرض عين**: وهو رأي المذهب الحنبلي وبعض الأحناف[2].

الثاني: **واجبة فرض كفاية**: وهو رأي الشافعية[3].

الثالث: **سنّة مؤكّدة**: وهو رأي الجعفرية[4]، والمالكية وبعض فقهاء الحنفية[5].

---

(١) سورة البقرة: آية٤٣.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: ج١٥، ص٢٨١، ط٢، ١٤٠٩هـ الكويت.

(٣) الفقه الإسلامي وأدلته لوهبة الزحيلي: ج٢ ص ١٥٠.

(٤) اللمعة الدمشقية لمحمد مكي العاملي: ج١، ص ٣٧٧، العروة الوثقى للسيد اليزدي: ج١ ص٥٤٣.

(٥) الفقه الإسلامي وأدلته لوهبة الزحيلي: ج٢، ص١٤٩.

أهمية تشريع صلاة الجماعة وفضلها في الدنيا والآخرة:

بنيت الثقافة الإسلامية في كثير من تشريعاتها على مجموعة أسس تضمن للإنسان السعادة والتكامل، كما تضمن له سلامة كل من روحه وجسده وكذلك كل من الفرد والمجتمع، ومن هذه الأسس: ما يضمن طرد الأنانية، وإخراج الإنسان من التفكير في خصوص ذاته، ونطاقه الخاصّ به، ويتجسد هذا الغرض في بعض الالتزامات الشرعية التي تدفع أفراد المجتمع بنحو من الأنحاء إلى الانضمام إلى بعضهم البعض والتفكير في شؤون الآخرين، وأغلب التعاليم التي اختصت بها صلاة الجماعة وشعاراتها تدعو الإنسان نحو هذا الشعور، كما نجد أن كثيراً من الأحكام الشرعية الأخرى توجِّه إلى هذا الهدف أيضاً، كالخمس، والزكاة، والحج والجهاد، والتولّي والتبرّي، وغيرها.

ونحن في هذا السياق سوف نذكر جملة من الروايات التي تشير إلى أهمية وفضل صلاة الجماعة، فنقول:

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: **(من خلع جماعة المسلمين قدر شبر خلع ربقة الإيمان من عنقه)**[1]، وفي حديث آخر له ﷺ شبّه أفراداً كهؤلاء، وهم في عموم الناس، بالشاة المنفردة عن القطيع التي لن تكون إلاّ من حصة الذئب، حيث يقع إنسان كهذا في حبائل الشيطان، فيتمكن من خطفه من بينهم، قال ﷺ: **(عليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب القاصية)**[2].

لذا فإن الإسلام يوصي الإنسان أن يتجنب في سفره وحضره، وحركته وسكونه، العزلة والانفراد وأن يكون في مجمل نشاطاته الاجتماعية والعبادية مع الجماعة، ولهذا السبب وغيره من الأسباب يحث الإسلام الإنسان على صلاة

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٨، ص٢٩٤.
(٢) كنز العمال للمتقي الهندي: ج٧، ص٥٨١.

الجماعة، ويعدّها أفضل من كل عبادة، حيث ورد في فضلها الشيء الكثير، فعن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: (**قام علي عليه السلام الليل كله، فلما انشق عمود الصبح صلى الفجر، وخفق برأسه، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وآله الغداة، لم يره، فأتى فاطمة عليها السلام، فقال: أي بنية، ما بال ابن عمك لم يشهد معنا صلاة الغداة؟ فأخبرته الخبر، فقال: ما فاته من صلاة الغداة في جماعة، أفضل من قيام ليله كله، فانتبه علي عليه السلام لكلام رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال له: يا علي إن من صلى الغداة في جماعة، فكأنما قام الليل كله، راكعاً وساجداً**)[١].

وعنه صلى الله عليه وآله في رواية أخرى قال: (**أتاني جبرئيل مع سبعين ألف ملك، بعد صلاة الظهر، فقال: يا محمد إن ربَّك يُقرؤك السلام، وأهدى إليك هديتين، لم يهدهما إلى نبي قبلك، قلت: ما الهديتان؟ قال: الوتر ثلاث ركعات، والصلاة الخمس في جماعة، قلت: يا جبرئيل وما لأمتي في الجماعة؟ قال: يا محمد إذا كانا اثنين، كتب الله لكل واحد بكل ركعة مائة وخمسين صلاة، وإذا كانوا ثلاثة، كتب الله لكل منهم بكل ركعة ستمائة صلاة، وإذا كانوا أربعة، كتب الله لكل واحد بكل ركعة ألفا ومائتي صلاة، وإذا كانوا خمسة، كتب الله لكل واحد بكل ركعة ألفين وأربعمائة صلاة، وإذا كانوا ستة، كتب الله لكل واحد منهم بكل ركعة أربعة آلاف وثمانمائة صلاة، وإذا كانوا سبعة، كتب الله لكل واحد منهم بكل ركعة تسعة آلاف وستمائة صلاة، وإذا كانوا ثمانية، كتب الله تعالى لكل واحد منهم تسعة عشر ألفا ومائتي صلاة، وإذا كانوا تسعة، كتب الله تعالى لكل واحد منهم بكل ركعة ستة وثلاثين ألفا وأربعمائة صلاة، وإذا كانوا عشرة، كتب الله تعالى لكل واحد بكل ركعة سبعين ألفا وألفين وثمانمائة صلاة، فإن زادوا على العشرة، فلو صارت بحار السماوات والأرض كلها**

---

(١) مستدرك الوسائل للمحدث النوري: ج٦، ص٤٦٣.

مداداً، والأشجار أقلاماً، والثَقَلان مع الملائكة كُتّاباً، لم يقدروا أن يكتبوا ثواب ركعة واحدة.

يا محمد، تكبيرة يدركها المؤمن مع الإمام، خير له من ستين ألف حجة وعمرة، وخير من الدنيا وما فيها، سبعين ألف مرة، وركعة يصليها المؤمن مع الإمام، خير من مائة ألف دينار، يتصدق بها على المساكين، وسجدة يسجدها المؤمن مع الإمام، في جماعة، خير من عتق مائه رقبة)[١].

وعنه ﷺ: **(ومَن حافظ على الجماعة حيث ما كان مَرَّ على الصراط كالبرق اللامع في أول زمرة مع السابقين ووجهه أضوء من القمر ليلة البدر، وكان له بكل يوم وليلة يحافظ عليها ثواب شهيد)**[٢].

وقال ﷺ: **(صلاة الرجل في جماعة، خير من صلاته في بيته أربعين سنة، قيل: يا رسول الله، صلاة يوم؟، فقال: صلاة واحدة، ثم قال ﷺ: إذا كان العبد خلف الإمام، كتب الله له مائة ألف ألف وعشرين درجة)**[٣].

وعنه ﷺ أنه قال: **(إن صفوف أمتي كصفوف الملائكة في السماء، والركعة في الجماعة، أربع وعشرون ركعة، كل ركعة أحب إلى الله تعالى من عبادة أربعين سنة)**[٤].

وفي رواية أن رجلاً أعمى دخل على رسول الله ﷺ فقال: (يا رسول الله أنا ضرير البصر وربما أسمع النداء ولا أجد من يقودني إلى الجماعة والصلاة معك، فقال له النبي ﷺ: **شد من منزلك إلى المسجد حبلاً واحضر الجماعة)**[٥].

---

(١) مستدرك الوسائل للمحدث النوري: ج٦، ص٤٤٣.
(٢) ثواب الأعمال للشيخ الصدوق: ص٢٩١.
(٣) مستدرك الوسائل للمحدث النوري: ج٦، ص٤٤٦.
(٤) المصدر السابق.
(٥) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٨، ص٢٩٣.

وجاء عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام: عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **(من مشى إلى مسجد يطلب فيه الجماعة كان له بكل خطوة سبعون ألف حسنة، ويرفع له من الدرجات مثل ذلك، فإن مات وهو على ذلك وكل الله به سبعين ألف ملك يعودونه في قبره ويبشّرونه ويؤنسونه في وحدته، ويستغفرون له حتى يُبعث)**[١].

وورد عنه صلى الله عليه وآله في حديث: **(صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بخمس وعشرين درجة)**[٢].

وورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: **(من ترك الجماعة رغبة عنها وعن جماعة المؤمنين من غير علّة فلا صلاة له)**[٣].

وكذلك ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: **(مَنْ لم يصلِّ في جماعة فلا صلاة له بين المسلمين، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: فلا صلاة لمن لم يصلِّ في المسجد مع المسلمين إلا من علة)**[٤].

وعن الصادق الأمين صلى الله عليه وآله: **(إن الله عز وجل ليستحي من عبده، إذا صلى في جماعة، ثم سأله حاجة، أن ينصرف حتى يقضيها)**[٥].

وفي هذا السياق تحدث العلماء في رسائلهم العملية في معرض ذكر أحكام صلاة الجماعة عن فضل الجماعة وأهميتها ـ من باب المقدمة ـ وننقل فيما يلي نموذجاً من ذلك، قال العلامة السيد محمد كاظم اليزدي رحمه الله في العروة الوثقى: (وهي ـ أي صلاة الجماعة ـ من المستحبات الأكيدة في جميع الفرائض، خصوصاً اليومية منها، وخصوصاً في الأدائية، ولا سيما في الصبح والعشاءين،

---

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٨، ص٢٨٧.
(٢) المصدر السابق: ج٨، ص٢٨٩.
(٣) ثواب الأعمال للشيخ الصدوق: ص٢٣٣.
(٤) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٨، ص٢٩٣.
(٥) مستدرك الوسائل للمحدث النوري: ج٦، ص٥١٥.

وخصوصاً لجار المسجد أو من يسمع النداء، وقد ورد في فضلها وذم تاركها من ضروب التأكيدات ما كاد يلحقها بالواجبات... إلى أن يقول: وإذا كان المأمومون أكثر كان الأجر أزيد، ولا يجوز تركها رغبة عنها أو استخفافاً بها... فمقتضى الإيمان عدم الترك من غير عذر، لا سيما مع الاستمرار عليه، فإنه ـ كما ورد ـ لا يمنع الشيطان من شيء من العبادات منعها، ويعرض عليهم الشبهات من جهة العدالة ونحوها، حيث لا يمكنهم إنكارها لأن فضلها من ضروريات الدين)[١].

(١) العروة الوثقى للسيد اليزدي: ج٣، ص١١١، ١١٤.

أسباب العزوف عن صلاة الجماعة:

قد يتساءل البعض: ما دامت لصلاة الجماعة هذه الفوائد والآثار الطيبة على المجتمع، إضافة إلى ما ورد من النصوص الدينية في الحث عليها، وتبيين عظيم ثوابها عند الله تعالى، فلماذا نجد العزوف عند الكثيرين عن حضورها؟ حيث لا يمثل الحضور لصلاة الجماعة إلا نسبة قليلة من المجتمع.

والجواب على ذلك: أن هناك أسباباً عدة أدت إلى هذا التساهل في أدائها، وعدم الاهتمام بها، لعل من أبرزها ما يأتي:

أولاً: **ضعف الاهتمام الديني**: فمن يهتم بتعاليم الدين لا يترك صلاة الجماعة، إذا كان عارفاً بقيمتها وفضلها عند الله، ومن يرغب في ثواب الله تعالى، لا يتأخر عن صلاة الجماعة، مع ما ورد فيها من الأجر العظيم والثواب الكبير، لكن الكثيرين يفتقدون رغبة الإقبال على هذه الشعيرة العظيمة، بسبب ضعف الاهتمام الديني في نفوسهم.

ثانياً: **ضعف التشجيع**: حيث لا نجد في المجتمع حثًّا وتشجيعاً كافياً على أداء صلاة الجماعة، فالكتابات حولها قليلة، والخطباء نادراً ما يتعرضون لفضل صلاة الجماعة ولحث الناس على المواظبة عليها.

ثالثاً: **الكسل**: إن قسماً من الناس يستثقل الذهاب إلى صلاة الجماعة، لأنها تأخذ جزءاً من وقته، وتصرف شيئاً من جهده، فيرى صلاته منفرداً في البيت أسهل وأيسر، مع أن الوقت والجهد اللذين تستلزمهما صلاة الجماعة محدود ضئيل، وهو يصرف أضعاف ذلك الوقت والجهد على سائر شؤون حياته من الكماليات والرفاهيات.

رابعاً: **عدم التعود**: فأغلب الناس لم يتعودوا على أداء صلواتهم اليومية في أوقاتها، فتراهم ينشغلون أول وقت الصلاة بأمور أخرى، إذ لم ينظموا وقتهم لكي يكون هذا الوقت خاصاً للتهيؤ للصلاة وأدائها، ولا يعلمون أن تأخير الصلاة عن

وقتها من دون عذر ـ وبشكل متكرر ـ أمر مرفوض شرعاً وله آثار خطيرة على حياة الفرد في الدنيا والآخرة، ولنعرض جملة من الروايات التي تدل على ذلك:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **(لا يزال الشيطان يرعب من بني آدم ما حافظ على الصلوات الخمس، فإذا ضيعهن تجرأ عليه وأوقعه في العظائم)**[(١)].

وعنه صلى الله عليه وآله: **(حسب الرجل من دينه ، كثرة محافظته على إقامة الصلوات)**[(٢)].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **(ما من عبد اهتم بمواقيت الصلاة ومواضع الشمس إلا ضمنت له الرَّوح عند الموت، وانقطاع الهموم والأحزان، والنجاة من النار...)**[(٣)].

وعنه عليه السلام أنه قال: **(ليس عمل أحب إلى الله عز وجل من الصلاة ، فلا يشغلنّكم عن أوقاتها شيء من أمور الدنيا، فإن الله عز وجل ذم أقواماً فقال: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، يعني: أنهم غافلون، استهانوا بأوقاتها...)**الخبر[(٤)].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: **(اعلم أن أول الوقت أبدا أفضل، فعجّل بالخير ما استطعت، وأحبُّ الأعمال إلى الله عز وجل ما داوم العبد عليه وإن قل)**[(٥)].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: **(إن العبد إذا صلى الصلاة في وقتها وحافظ عليها ارتفعت بيضاء نقية، تقول: حفظتني حفظك الله، وإذا لم يصلِّها لوقتها ولم يحافظ عليها ارتفعت سوداء مظلمة ، تقول : ضيعتني ضيعك الله)**[(٦)].

وعنه عليه السلام: **(خصلتان مَنْ كانتا فيه وإلا فاعزُب ثم اعزُب! قيل: وما هما؟ قال: الصلاة في مواقيتها والمحافظة عليها، والمواساة)**[(٧)].

---

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٧٩، ص٢٠٢.
(٢) تنبيه الخواطر للشيخ ورام: ص٤٣٧.
(٣) الأمالي للشيخ الصدوق: ص١٣٦.
(٤) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٤، ص١١٣.
(٥) الكافي للشيخ الكليني: ج٣، ص٢٧٤.
(٦) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق: ج١، ص٢٠٩.
(٧) الخصال للشيخ الصدوق: ص٤٧.

وعنه عليه السلام: **(إن فضل الوقت الأول على الآخر كفضل الآخرة على الدنيا)**[١].

وعنه عليه السلام: **(لفَضَلُ الوقت الأول على الآخر، خير للمؤمن من ماله وولده)**[٢].

وعن الإمام الرضا عليه السلام: **(الصلوات المفروضات في أول وقتها إذا أقيم حدودها، أطيب ريحاً من قضيب الآس حين يؤخذ من شجرة في طيبه وريحه وطراوته، فعليكم بالوقت الأول)**[٣].

خامساً: الانشغال: فانشغال الناس أو فئة كبيرة منهم باللهو واللعب وعدم الاهتمام بالصلاة، فتراهم ينشغلون بمشاهدة التلفاز والخوض في عوالم الانترنت وقضاء ساعات في هذا اللهو الخفي من دون أن يفكروا في الخروج عن هذا العالم ولو لدقائق لذكر الله والآخرة، وإسقاط ذنوبه التي احتطبها على ظهره واطفاء النيران يوم القيامة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **(يا علي إنما منزلة الصلوات الخمس لأمتي كنهر جار على باب أحدكم، فما ظن أحدكم لو كان في جسده دَرَن ثم اغتسل في ذلك النهر خمس مرات في اليوم أكان يبقى في جسده درن؟ فكذلك والله الصلوات الخمس لأمتي)**[٤].

---

(١) الكافي للشيخ الكليني: ج٣، ص٢٧٤.

(٢) مستدرك الوسائل للمحدث النوري: ج٣، ص١٠٣.

(٣) ثواب الأعمال للشيخ الصدوق: ص٣٦.

(٤) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٧٩، ص٢٢١.

الدعوة لصلاة الجماعة:

يحتاج مجتمعنا إلى حملة مكثفة من التوعية والتوجيه، لحث الناس على صلاة الجماعة، بنشر الكتب والمقالات التي تتناول فضلها وأهميتها، وعلى العلماء والخطباء أن يُكرروا الدعوة إليها والحث على الاهتمام بهذه الشعيرة العظيمة، وينبغي على القنوات الفضائية ومواقع الانترنت والمنتديات وغيرها فتح باب النقاش والبحث حول أسباب العزوف عن صلاة الجماعة في المجتمع، وطرق التشجيع على المواظبة عليها، ويمكن الاستفادة من الجوال، بإرسال رسائل قصيرة إلى الأصدقاء والأقرباء، لدعوتهم لصلاة الجماعة، ولو تشكلت في كل مسجد لجنة إعلامية للدعوة لصلاة الجماعة، وابتكار الوسائل والأساليب المؤثرة في جذب الناس لها، فإنها ستحقق نتائج جيدة.

وعلى كل فرد منا أن يحث ويشجع أولاده وأقرباءه وأصدقاءه، ولا يسأم من دعوتهم لصلاة الجماعة، فإن الدال على الخير كفاعله، وذلك مصداق من مصاديق الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف.

الفصل الثاني

دور صلاة الجماعة
في
بناء الفرد والمجتمع

ثَمَّةَ أمور تُساهم في تقوية وتقويم البناء الاجتماعي اعتمد بعضَها أكثرُ الشعوب والمجتمعات بدافعٍ من طبيعة الإنسان المقتضية للسعي نحو كلِّ ما يبعث على الألفة والمؤانسة وذلك بدوره يُساهم في تقوية البناء الاجتماعي.

والإسلام جاء ليؤكد على الكثير من هذه الوسائل بعد تقويمها وتهذيبها وذلك لاهتمامه البالغ بمسألة البناء الاجتماعي نظراً لوقوعه في طريق الغرض الإلهي من خلق الإنسان، أعني: الكمال الذي اقتضت الإرادة الإلهية أن تمنحه للإنسان عبر مدارجَ دأَبَ الأنبياءُ والأوصياء على توصيفها والأخذ بأيدي الناس إلى حيث موارد عبورها.

ولأن الوسائل التي اعتمدتها الشعوب والمجتمعات لم تكن كافية لإنتاج أمّة يصح توصيفها بالبنيان المرصوص كان ذلك موجباً لاستحداث وسائل تكون أكثر قدرة على تحصيل هذا الغرض، فكانت العبادات الجماعية واحدةً من تلك الوسائل التي استحدثها الإسلام وأحكَمَ صياغتها وجعل منها أداة قادرة على خلق مجتمع متماسك تحوطه الهيبة والوقار وتتخلل ثناياه السكينة والاستقامة وتستفز جوانحه الرغبة الملحة في التكامل.

آثار صلاة الجماعة على الفرد والمجتمع:

إن لصلاة الجماعة آثاراً مختلفة ومتنوعة فتارة تحصل هذه الآثار بملاحظة نفس إقامتها في مقابل الصلاة فرادى، فننظر إليها من منظور إجمالي من دون ملاحظة خصوصيات أجزائها وأحكامها، وتارة نلاحظ جزئيات أحكامها وآدابها وما يؤثر منها على الثقافة الاجتماعية، وكذلك هذه الآثار قد تكون للفرد وقد تكون للمجتمع، وعليه فسوف نتحدث عن هذه الآثار أولا بشكل عام من زاوية الفرد والمجتمع، ثم نتحدث عنها بعد ملاحظة خصوصيات أجزائها، كذلك.

الآثار العامة لصلاة الجماعة على الفرد:

وهذه الآثار هي:

١ـ تعزيز الحالة الدينية وتثبيتها في النفوس: حينما يحضر المسلمون المسجد ويصلون مع بعضهم البعض تتعزز الحالة الدينية في نفس كل واحد منهم وتتقوّى، فمن طبيعة الإنسان أنه عندما يرى كثرة من الناس تمارس عملاً معيناً يعطيه ذلك دافعاً للقيام بهذا العمل الذي يجد الآخرين يقبلون عليه، فالعمل الجمعي له وقع وقيمة في النفوس، وبما أن صلاة الجماعة هي في الأصل أداء للواجب والتكليف الشرعي، ومظهر من مظاهر التديّن، فتعزيزها تعزيز للحالة الدينية الاجتماعية، وهذا ما أشار إليه الإمام علي الرضا عليه السلام بقوله: (**إنما جعلت الجماعة ... ليكون المنافق والمستخف مؤدياً لما أقرّ به يظهر الإسلام والمراقبة، وليكون شهادات الناس بالإسلام بعضهم لبعض جائزة ممكنة، مع ما فيه من المساعدة على البرِّ والتقوى، والزجر عن كثير من معاصي الله عز وجل**)[١].

٢- التوجيه وزيادة المعرفة الدينية: توفر صلاة الجماعة فرصة جيّدة للتوجيه والمعرفة الدينية، حيث يستفيد المصلون من حضورهم للصلاة، باستماع الخطب والمواعظ الدينية، وعرض أسئلتهم واستفتاءاتهم الدينية على إمام الجماعة، إذا كان من أهل المعرفة والعلم، قال أمير المؤمنين عليه السلام: (**من اختلف إلى المساجد أصاب إحدى الثمان: أخاً مستفاداً في الله أو علماً مستطرفاً أو آيةً محكمة أو رحمةً منتظرة أو كلمةً تردعه عن ردى أو يسمع كلمة تدله على هدى أو يترك ذنباً خشيةً أو حياءً**)[٢].

٣- التربية على النظام: صلاة الجماعة تُربي الإنسان على النظام والانضباط الجماعي، فإذا واظب المصلي على الجماعة، فسينضبط في أداء الصلاة في وقتها، وعلى

---

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٨، ص٢٨٧.

(٢) ثواب الأعمال للشيخ الصدوق: ص٢٧.

العكس من ذلك الصلاة فرادى، حيث يضعف جانب الالتزام بأدائها في وقتها.

وفي الجماعة تعويد على النظام، حيث يقف المأمومون خلف الإمام بصفوف منتظمة متراصة فيكبّرون بعد الإمام، ويؤدون جميع أفعال الصلاة بعده، إلى أن تنتهي الصلاة.

٤- **التوفيق الإجباري**: إن من الناس ـ وما أكثرهم ـ من يتساهل في أداء الواجبات ومن أهمها الصلاة فيفرّط في أدائها بصورتها الصحيحة المقبولة أو يفرّط في الإتيان ببعض المستحبات التي يثاب عليها، والتي لها آثار مهمة على حياة الناس، فانخراط هؤلاء في ضمن الجماعة وأدائهم للصلاة على نسق واحد مع المحافظة على كامل شرائط الصحة وبعض المستحبات توفيق من الله لهم واستدراج لهم من حيث لا يشعرون إلى التكامل والرقي الديني والنفسي، وشيئاً فشيئاً سوف يتعودون عليها ويلتذون بها ولا يفارقونها في ممارستهم العبادية حتى لو كانوا وحدهم، فالعبادة وإن كانت ممارسة عقائدية تنبع من الشعور الإيماني للإنسان إلا أن التعود بعد ذلك له عامل رئيس في ثبات هذه الأفعال وديمومتها.

الآثار العامة لصلاة الجماعة على المجتمع:

وهذه الآثار هي:

١ـ **حجة الإسلام على باقي الأقوام**: إن لكل حزب ومؤسسة وطائفة شعاراً يكون معبراً عن الفكر الذي يحملونه والتوجه الذي يسلكونه، وهذا الشعار هو عيّنة مصغرة تحمل كل سمات الفكر والسلوك، والإسلام لم يغفل هذا الأمر بل اهتم به كثيراً في كل مجال صغيراً كان أم كبيراً، بل في أدق التفاصيل، كما لا يخفى على المتتبع، ومن أهم النماذج التي اعتنى بها الشارع المقدس لتكون مَعْلَماً يُحبِّب الإسلام إلى النفوس، وصورة مصغرة تعكس فكر الإسلام وأخلاقه هو صلاة الجماعة بما تحمله بين طياتها ـ كما سيأتي بيان ذلك مفصلاً إن شاء الله تعالى ـ من خصوصيات في أحكامها المختلفة تصب في هذا الاتجاه.

وبذلك تكون صلاة الجماعة والحث على بناء المساجد وإقامتها دعوةً إلى نشر الإسلام عن طريقها، إذ يكون هذا وحده كافياً كحجة لله على الخلق مانعاً لهم عن الاعتذار بعدم معرفة الإسلام وهم يرون المسلمين يؤدون صلواتهم خمس مرات في اليوم في المساجد المنتشرة في كل بقاع الأرض، لاسيما مع انتشار وسائل الاتصال الحديثة وهي تنقل أدق التفاصيل إلى كل أرجاء العالم، وهذا ما أشار إليه الإمام علي الرضا عليه السلام بقوله: (**إنما جعلت الجماعة لئلا يكون الإخلاص والتوحيد والإسلام والعبادة لله إلا ظاهراً مكشوفاً مشهوراً، لأن في إظهاره حجة على أهل الشرق والغرب لله وحده**)[1].

٢ـ **تَعُّرف المسلمين على بعضهم**: عندما نبحث بين البرامج والخطط والأساليب المتخذة لإحداث التعارف بين فئات المجتمع سنجد أن برنامج الصلاة يمثل أسلم الطرق والبرامج، وأقواها عاطفة، وأنْفَسها قيمة، وأقلّها نفقة، إذ تحقق

---

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٨، ص٢٨٧.

التداخل بين اتصال العبد بالله وصلته بالناس، فالمصلي عندما يأتي للجماعة في المسجد، ينوي الصلاة مُخلصاً لله سبحانه، ولكنه يؤديها مع جماعة المؤمنين، وهذا يؤكّد ـ وبشكل جليّ ـ أن للدين بعدين، البعد العبادي المتعلّق بالصلة بالله تعالى، والبعد الاجتماعي المتعلّق بعمق العلاقة بين الفرد وبَني مجتمعه.

فإن المسلمين سيكونون قادرين في ظل هذا البرنامج الديني والعبادة الجماعية أن يتعارفوا فيما بينهم، ويتعاونوا في مواضع تعرضهم للابتلاء والحوادث غير المرتقبة، ويؤيد أبناء المسجد الواحد، والجماعة الواحدة صاحبهم إذا احتاج إلى شهادة في محكمة، أو فصل في أمر، أو نصيحة أخ مخلص، أو مشورة حكيم مجرب، أو استفسار وسؤال وغير ذلك.

فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (**من صلى خمس صلوات في اليوم والليلة في جماعة فظُنوا به خيراً، وأجيزوا شهادته**)[١].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: (**إذا سُئلتَ عمّن لا يشهد الجماعة، فقل: لا أعرفه**)[٢].

فصلاة الجماعة تهيء الأرضية اللازمة للتعارف الإيجابي، وفي نفس الوقت فهي مدرسة تربوية، ولكن في جانبها العملي والتطبيقي وهو الشكل الأنفع من التعليم، فالحديث المتقدم[٣] عن أمير المؤمنين عليه السلام كما ينفع في الجانب الفردي ينفع أيضاً في الجماعي، حيث قال: (**من اختلف إلى المسجد أصاب إحدى الثمان: أخاً مستفاداً في الله، أو علماً مستطرفاً، أو آيةً محكمة، أو يسمع كلمةً تدل على هدى، أو رحمةً منتظرة، أو كلمةً ترده عن ردى، أو يترك ذنباً خشيةً أو حياءً**)[٤].

---

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٢٧، ص٣٩٥.
(٢) مستدرك الوسائل للمحدث النوري: ج٦، ص٤٥.
(٣) في النقطة الثانية من الآثار العامة لصلاة الجماعة على الفرد تحت عنوان: التوجيه وزيادة المعرفة الدينية.
(٤) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٥، ص١٩٧.

٣ـ **بث جو المعروف في المجتمع**: يبعث صوت المؤذن، وإقامة صفوف الجماعة على زيادة الجوانب المعنوية في نفس الإنسان وهذا بدوره يزيد من حالة التقوى في المجتمع، ويؤدي ـ بعبارة أُخرى ـ إلى التجسيد العملي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ يمنح الموحدين القوّة والنشاط والأمل، ويبعث في أصحاب مقاصد السوء روح اليأس والانزواء.

فإن حركة المؤمنين الموحدة نحو المساجد، وتعطيل جميع الأعمال والمشاغل غير الاشتغال بذكر الله، وامتثال أمره يغيّر الجوّ الحاكم في المجتمع، وينير هذا الالتزام والتقليد القلوب المظلمة بنور الإيمان ويحييها بالمعرفة، ويزيد في رجحان كفّة المؤمنين بالدين على المتعلقين بالدنيا الطالبين لها.

٤ـ **بث الخوف والرعب في نفوس الأعداء**: تعتبر مناورات استعراض القوّة البشرية والإمكانيات المادية اليوم من جملة الخطط والبرامج الاستراتيجية المكْلِفَة التي تستخدمها القوى لاستعراض وإظهار وجودها أمام الآخرين في الظروف المختلفة، وصلاة جماعة المسلمين مناورة سلمية هادئة لاستعراض القوة تؤدى يومياً من دون حاجة إلى تخصيص ميزانية وبذل مال، فإن صفوف المصلين المتراصة في كل زقاق وساحة ومكان يمثل استنفاراً يحجز الأعداء عن التفكير في إلحاق الضرر بالمسلمين، ووضع الخطط والمؤامرات ضدّهم.

وهي إعلان عن الوجود والصمود بوجه الكفار، فعندما أمر الله تبارك وتعالى نبيه أن يعلن عن دينه كانت إقامة صلاة الجماعة التي شارك فيها الرسول الأكرم ﷺ، وأمير المؤمنين عليه السلام، وجعفر بن أبي طالب أولى خطواته في هذا السبيل، قال الإمام الصادق عليه السلام: (**أول جماعة كانت أن رسول الله ﷺ كان يصلي وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام معه، إذ مر به أبو طالب وجعفر معه فقال: يا بني، صِلْ جَناح ابن عمك، فلما أحس رسول الله ﷺ تَقَدَمَهُما، وانصرف أبو طالب**

مسرورا ـ إلى أن قال ـ **فكانت أول جماعة جمعت ذلك اليوم)**[١].

٥ـ حفظ المكانة الاجتماعية: إلى جانب الوعود المعطاة على لسان روايات المعصومين عليهم السلام إلى المشاركين في صلاة الجماعة من الثواب الأخروي والمنافع الدنيوية، يوجد في الجانب الآخر تهديدات شديدة أيضاً من الإسلام للذين ينأَون عن الجماعة الإسلامية، فمن جملة هذه التهديدات ما ورد عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله حيث قال: **(لا غيبة إلا لمن صلى في بيته، ورغب عن جماعتنا، ومن رغب عن جماعة المسلمين وجب على المسلمين غيبته، وسقطت بينهم عدالته، ... ومن لزم جماعتهم حَرُمت عليهم غيبته، وثبتت عدالته بينهم)**[٢].

لذا فإن المحافظة على المكانة الاجتماعية مرهون بالاشتراك في صلاة جماعة المسلمين، فمن دخل في صلاة الجماعة نال هذا الاعتبار وهذه الهوية الأصيلة.

---

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٨، ص٢٨٨.

(٢) المصدر السابق: ج٢٧، ص٣٩٢.

الآثار التفصيلية لصلاة الجماعة على الفرد والمجتمع:

إن من أهم صفات الدين الإسلامي هو أنه دين الفطرة، بمعنى: أن المُشرِّع لاحظ في أحكامه أن تكون ملائمة لفطرة الإنسان وهذا ليس غريباً خاصة بعد أن نلاحظ مجموع أمرين:

إن الدين الإسلامي أُريد له الخلود والبقاء إلى آخر الزمان، فهو الدين الخالد والخاتم، وهو منظومة السماء المقترحة التي تضمن للإنسان عيشاً سعيداً على جميع المستويات للدنيا والآخرة.

إن المُشرِّع لهذا الدين العظيم هو نفسه الخالق العظيم الذي أبدع خلقه، ومن البديهي أن خالق هذا الكون البديع بكل جزئياته يعلم ما يصلحه وما يفسده، ومن مقتضى حكمته ورحمته أنه شرّع للإنسان ما يلائم خِلقته التكوينية، بعد أن لم تكن هناك مصلحة ترجع إلى نفس الشارع من تشريعه، كما هو مذكور مفصلاً في كتب العقائد، فالأحكام تابعة لمصالح ومفاسد راجعة إلى نفس المكلف، يحصل على الأولى بفعل الأوامر، ويتلافى الثانية بترك المحرمات.

لذا فمن أبرز تجليات هذه الفكرة هي صلاة الجماعة فمن لاحظ دقائق أحكام وآداب هذه الشعيرة العظيمة أيقن بحكمة الخالق العظيم من جهة، وبالفوائد الاجتماعية التي يحصل عليها المجتمع إذا طبق هذه التعاليم في صلواته وما تؤدي إليه بعد ذلك من انعكاس على حياة الفرد نفسه، من جهة أخرى.

ونحن في هذا البحث نحاول أن نسلط الضوء على هذه الأحكام والآداب ونبين معها العمق التربوي الاجتماعي الذي أراده المشرع الحكيم من هذه التعاليم، خصوصاً إذا لاحظنا بنظر الاعتبار أن من أهم أساليب التربية التي أثبتها العلم الحديث وطبقتها المجتمعات المتطورة حضارياً وتربوياً هي التربية التي تمتزج فيها النظرية بالتطبيق، بمعنى عدم تلقين الفرد المراد تربيتُه نفسَ الأحكام النظرية وحدها

ثم حثه على تطبيقها، بل إعطاؤه تلك الأحكام النظرية في ضمن نفس العمل بشكل يضمن حصول المطلوب من غير أن يشعر العامل بذلك، وهو ما اعتمد في تربية الأطفال والناشئين على بعض السلوكيات الحميدة، وذلك عن طريق المخيمات الكشفية التي يتاح فيها للأطفال والشباب أن يمارسوا بعض النشاطات ويتعلموا منها فوائد مختلفة، أو الدروس العملية في المدارس الحديثة التي يتألف معظمها من ورش للتعلم وتنمية المهارات المختلفة بتوجيه وتدريب من قبل المعلمين.

وقبل أن ندخل في تفاصيل الأحكام والآداب الخاصة لصلاة الجماعة نشير إلى أن أهم وأبرز ما تتميز به صلاة الجماعة هو أنها من مصاديق قوله تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى**﴾[١]، إذ أن إقامة صلاة الجماعة في المسجد بشكل راتب (متكرر بانتظام) تقتضي جملة من الأعمال تتوزع على مجموعة من الأشخاص كل له دور يقوم به، فإمام الجماعة يقع عليه دور إقامة الجماعة، وهناك من يؤدي دور المؤذن للجماعة، وكذلك المنادي للجماعة، ومن يقرأ الدعاء بعد الصلاة و... إلخ من المهام التي تتوزع على بعض الأفراد المصلين، بل حتى مثل مسؤول الجامع، أو المتولي والحارس وغيرهم ممن يهتم بنفس المكان، لهم دور ومساهمة في تحقق الجماعة، إذن هذه الشعيرة المهمة يتوقف تحققها وإقامتها على تعاون مجموعة من المؤمنين لإتمامها بالشكل الصحيح واللائق بها.

ومهما يكن فإن الأحكام والآداب الخاصة بصلاة الجماعة والتي ينبغي على الجميع الاهتمام بها، تصنف بشكل أوليّ إلى:

ـ أحكام وآداب إمام الجماعة فيما يخص نفسه، وأثناء الصلاة.

ـ أحكام وآداب المأمومين في أنفسهم، وأثناء الصلاة.

وسوف نستعرضها فيما يأتي ونبين آثار جملة منها:

---

(١) سورة المائدة: آية ٢.

إمام الجماعة:

يجب على المصلي أن يحرز شروطاً في إمام الجماعة نظير: العدالة، والعقل، وطهارة المولد، وصحة قراءته للحمد والسورة وغيرها، لكن لا ينبغي الفحص والتحقق في هذا الأمر زيادة عن اللزوم، فيكفي الحكم بحسب الظاهر أو الاعتماد على شهادة الشهود، كما وينبغي تحلي إمام الجماعة بالإضافة إلى ذلك بمجموعة من الآداب والمستحبات ليحقق الهدف من هذا التشريع العظيم.

إن أهم ما يقوّم صلاة الجماعة هو وجود الإمام الصالح لإمامة جماعة المسلمين، ومسألة الإمامة في الفكر الإسلامي والشيعي على وجه الخصوص من الأفكار المتجذرة والمقومة للبنية العقائدية في المنظومة الفكرية، فالإمامة من أركان الدين وهي من الأفكار التي لها سعة وشمولية ورتبة أعلى من رتبة الرسالة والنبوة، قال تعالى لإبراهيم نبيه الكريم بعد أن اجتباه نبياً: ﴿**إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً**﴾[1]، فالإمامة مسؤولية إلهية للحفاظ على الدين وعلى الكيان الاجتماعي للمجتمع المتدين بدين النبي صاحب التشريع السماوي، ومن هذا المعنى الكبير والمهم اتخذ اسم إمام الجماعة وأخذ بعض خصوصياته، لكي ترسخ هذه الفكرة وتتعمق في السلوك الاجتماعي لأفراد المجتمع، ففكرة تولي أهم ركن من أركان الجانب العبادي للمجتمع ـ وهو الصلاة ـ من قبل شخص واحد، وتحمّله مسؤولية مَن يأتمّ به في بعض خصوصياتها ـ أي: الصلاة ـ له دلالات مهمة خاصة إذا لاحظنا شروط الإمام الآنفة الذكر.

---

(١) سورة البقرة: آية ١٢٤.

دور إمام الجماعة في البناء الاجتماعي:

ونودُّ في هذا المقام أن نقف على أحد نماذج العبادات الجماعية التي سنَّها رسول الله ﷺ وهي صلاة الجماعة لنبحث فيها عن العناصر المنتجة للبناء الاجتماعي، ونبدأ أولاً: بأكثر هذه العناصر فاعلية لتحصيل الغرض المذكور، أعني: إمام الجماعة، فلأن المفترض أن الغرض الإلهي من تشريع هذه السنة المباركة متبلور عنده أكثر من غيره، ولأن المفترض كونه أحرصَ الناس على تمثيل هذا الغرض وأكثرَهم جدية في ذلك، ولأنه يمتلك مقداراً من وسائل الوصول لهذا الغرض حيث يفتقر لها غيره، ولأن الأمر كان كذلك صحّ اعتباره العنصر الأكثر فاعلية لتحصيل الغاية من تشريع هذه السنة المباركة.

فحينما يكون إمام الجماعة واجداً لملكات الخير والفضيلة متعففاً صالحاً تقيّاً ورعاً دمثَ الأخلاق سهلَ الطباع انعكس ذلك على أتباعه والمصلين خلفه، إذْ ما من شيء أبلغ أثراً في المجتمع من القدوة الصالحة وليس من أحدٍ أجدرُ بهذا الأمر من رجل الدين، أو من يقوم مقامه من أهل الفضل، المتصدي لإمامة الجماعة، حيث هو المنظور من بين أفراد مجتمعه، للاضطلاع بهذا الدور.

فالاهتداء بهديه ومكارم أخلاقه هو الوسيلة الأكثر تأثيراً في المجتمع، وإذا انضمَّ لذلك ما يمارسه إمام الجماعة من دور الوعظ والإرشاد أسهم ذلك في تسارع الخطى نحو البناء الاجتماعي.

قد يتساءل البعض فيقول: أي صلةٍ بين التقوى ومكارم الأخلاق وبين البناء الاجتماعي؟

إلا أن الجواب لا يخفى على المتأمل، فإنه ما من شيء أدعى لتماسك المجتمع وتشييد مبانيه من الخُلُق الحسن، فهو مدار البناء والنقض، فبسوء الخُلق ينتقض بناؤه وبحُسن الخُلُق تُشيّد أركانه، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا**

مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾[١]، وقال عزّ مِن قائل: **﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾**[٢]، وقال تباركت أسماؤه: **﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾**[٣].

ثم إن إمام الجماعة إذا كان ذا بصيرة ووعي بزمانه وبأهل زمانه يَقِظاً حَذِراً من الانسياق في مُضلات الفتن لا يلتبس عنده الحق بالباطل، يتحرَّى الهُدى ويعرف سبيله فيتبعه، ويعرف الباطل فيجتنبه، وهو في ذات الوقت ثابت القلب قوي الجنان مدرك لما يُصلِح شأن الناس وما يضر بحالهم وبكيانهم، ثم تصدى لإطلاعهم على كل ذلك كلما دعت الحاجة من قول أو فعل، أسهم ذلك في بناء كيان المجتمع الإسلامي، وفي حمايته من الانتقاض، وبذلك يكون إمام الجماعة هو العنصر الأكثر فاعلية في البناء الاجتماعي.

---

(١) سورة الإسراء: آية ١٦.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٧.

(٣) سورة الفتح: آية ٢٩.

أحكام وآداب إمام الجماعة فيما يخص نفسه:

هناك مجموعة من الأحكام والآداب الخاصة بإمام الجماعة، لمعظمها دلالات اجتماعية تؤثر على تربية أفراد المجتمع، حيث إن الشرع الإسلامي يضع لإمام الجماعة - وصلاة الجماعة أنموذج للحالة الاجتماعية في الإسلام- شروطاً ومواصفات لا يقدّمه الناس ليؤمّهم إلا بعد تحققها فيه.

ومن النصوص التي تؤكّد هذا المعنى ما ورد في حديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إن سرّكم أن تزكوَ صلاتكم فقدّموا خياركم)[١]، وورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: (لا تصلِّ إلاَّ خلف من تثق بدينه)[٢]، وجاء عن سعد بن إسماعيل عن أبيه قال: (قلتُ للرضا عليه السلام رجل يقارف الذنوب، وهو عارف بهذا الأمر، أصلي خلفه؟ قال لا)[٣]، ونُقِلَ عن أبي ذر (رضوان الله عليه) أنه قال: (إن إمامك شفيعك إلى الله عز وجل، فلا تجعل شفيعك سفيهاً ولا فاسقاً)[٤].

ونحن هنا نحاول أن نسلط الضوء على أهمها من خلال النقاط الآتية:

أولاً: العدالة:

والمقصود بالعدالة: الاستقامة على جادّة الشرع المقدس، وذلك بعمل الواجبات وترك المحرّمات، وبمعنى آخر: هي الاستقامة السلوكية، والمسلمون في مذاهبهم يختلفون في اشتراط العدالة في إمام الجماعة.

وقد أجمع فقهاء الشيعة الإمامية على اشتراط العدالة في إمام الجماعة في جميع الفرائض، وقصدوا بالعدالة ما ذكرناه من تعريف لها، وأشاروا إلى أن أيّ سبيل عقلائي يحصل من خلاله الاطمئنان للمصلي بعدالة الإمام يكفي لتحقق الشرط،

---

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٨، ص٣١٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق: ج٨، ص٣١٦.

(٤) المصدر السابق: ج٨، ص٣١٤.

كالمعاشرة الشخصية، والمعرفة المباشرة، وشهادة عادلين، والشياع المفيد للاطمئنان، بل حتى إخبار مطلق الثقة أو صلاته خلفه.

قال السيد اليزدي في (العروة الوثقى) ـ ووافقه السيد السيستاني ـ ما يلي: (بل يكفي الاطمئنان إذا حصل من شهادة عدل واحد، وكذا إذا حصل من اقتداء عدلين به، أو من اقتداء جماعة مجهولين به)[١].

ونشير هنا إلى أن العدالة لا تعني العصمة، فقد يصدر من الإنسان ذنب ويُصرُّ عليه، ويفتقد العدالة، لكنه إذا تاب عادت إليه عدالته، يقول المرجع السيد السيستاني: (ترتفع العدالة بمجرد وقوع المعصية وتعود بالتوبة والندم)[٢].

ويجب القول أيضاً: إن اختلاف الرأي لا يصح أن يعتبر خللاً في العدالة أو مسقطاً لها، فإذا كان هناك اختلاف في رأي فكري، أو موقف سياسي، أو شأن اجتماعي، فلا يعني ذلك أن يشكك أحد الطرفين في عدالة الآخر، إلا إذا ثبت له حصول مخالفة لأحكام الشرع دون مبرر مقبول.

أما اختلاف التشخيص للظروف والموضوعات، واختلاف الانتماء للمرجعيات والتجمعات، فهذا راجع لاختلاف الاجتهادات والقناعات.

ورائع جداً موقف الفقيه المحدّث الشيخ يوسف البحراني صاحب (الحدائق الناضرة) ـ توفي سنة ١١٨٦هـ ـ، الذي كان على خلاف شديد مع أُستاذه العلامة الشيخ محمد باقر الشهير بالوحيد البهبهاني، في موضوع الأصوليين والأخباريين، فالشيخ البحراني زعيم مدرسة المحدثين والأخباريين، والوحيد البهبهاني، زعيم المدرسة الأصولية، وكان يردّ آراء الشيخ يوسف البحراني بعنف، وكان الشيخ يوسف يُفتي بصحة الصلاة خلف الوحيد[٣].

---

(١) العروة الوثقى للسيد اليزدي: ج٣، ص١٩١، تعليقة على العروة الوثقى للسيد السيستاني: ج٢، ص٢٧٣.

(٢) منهاج الصالحين للسيد السيستاني: ج١، ص١٨، رقم المسألة ٣٠.

(٣) أنوار البدرين للشيخ علي بن الشيخ حسن البلادي البحراني: ج١، ص٤٣٥.

واشتراط العدالة في الإمام معناه تربية المجتمع على عدم قبول الانقياد لغير التقوى، وجعل التقوى والورع العامل الأول في تقييم أفراد المجتمع، فاختيار الأقرب إلى الله ليكون بيده زمام أمور المجتمع ليسوس عباد الله في هذه الحياة له جانب كبير من الأهمية في الارتقاء بهذا المجتمع نحو القيم الأخلاقية وإماتة مفاسد الأخلاق ومذام الصفات، وعصمة المجتمع من الانحدار نحو الفساد والإفساد وتربية جيل من المؤمنين الحقيقيين.

ثانياً: صحة القراءة:

إمام الجماعة يتحمّل عن المأموم في صلاة الجماعة القراءة في الركعتين الأولى والثانية، لذلك يشترط الفقهاء في إمام الجماعة أن يكون صحيح القراءة، والمقصود بصحّة القراءة: إخراج الحروف من مخارجها، وعدم إبدال حرف بآخر، أو نحو ذلك، حتى اللحن في الإعراب، ولا يشترط في إمام الجماعة أن يجيد تطبيق جميع التحسينات التي تدرس في علم التجويد مثلاً.

وهذا الشرط مطلوب في الائتمام في الركعة الأولى والثانية فقط، لذلك لو كان المصلي في بلد غير عربي ـ مثلاً ـ وكان إمام الجماعة لا يجيد القراءة ونطقَ الحروفِ بالعربية الصحيحة، يستطيع هذا المصلي أن ينتظر إلى أن ينتهي الإمام من القراءة في الركعة الثانية، ثم يلتحق بالجماعة.

جاء في العروة الوثقى بتعليقة السيد السيستاني: (لا بأس بالاقتداء بمن لا يحسن القراءة في غير المحل الذي يتحملها الإمام عن المأموم كالركعتين الأخيرتين، وكالركعة الثانية إذا التحق به في الركوع)[1].

وهذا الشرط يفهم منه أن الإسلام لا يريد من القيادة مجرد إشباع رغبات الأشخاص في التعالي على الآخرين، بل يريد من القيادة أن تكون جديرة بذلك،

(١) تعليقة على العروة الوثقى للسيد السيستاني: ج٢، ص٢٧١.

وهو يشترط أمورا موضوعية في من يتسنم هذا المنصب، وهذا هو الحد الأدنى المشترط في إمام الجماعة، والذي يصحح الاقتداء به فضلا عن أمور أخرى لم يطلب من المأمومين تحرِّيها في إمام الجماعة على نحو أكيد بل بشكل استحبابي، كالورع والتقوى والعلم والفضيلة وغير ذلك، وبذلك يُربِّي الإسلامُ أَتْبَاعَه على اتّباع التقييم الموضوعي للأشخاص، وعدم اتخاذ أسلوب عاطفي أو نفسي في تقديم بعض الناس على بعض، وإنما التفاضل بالتقوى والعلم وهما العنصران اللذان فضَّلهما الله تعالى وجعل تفضيل الأشخاص على أساسهما.

ومسألة تقديم الفاضل على المفضول وعدم تقديم المفضول على الفاضل مبدأ عقائدي مهم في الفكر الإسلامي وهو بعد ذلك أمر فطري، لذا فهذا التشريع الإسلامي الأصيل ينبع من دواعي الفطرة ويؤكدها ويتكامل معها، وبذلك تقوى هذه الدواعي في نفوس الناس، ويترسخ في ذهنيتهم التقييم البنّاء للأشخاص على أسس موضوعية لا تخضع للمحاباة أو التقييم المَصلحي الجائر.

وهذا الأمر بحد ذاته يدعو إلى شياع أحكام الصلاة الصحيحة في المجتمع، بعد أن كان قبول وعدم قبول الأشخاص لهذا المنصب يبتني على توفرها فيه بمقدار يؤهله لتولِّي إمامة الجماعة.

وهذان الأمران المتقدمان، أعني: عدالة الإمام وصحة قراءته من الواجبات التي لابد منها في صلاة الجماعة، وفيما عداهما فهناك مستحبات ينبغي التعرض ولو لأهمها، ليتبين للقارئ العزيز مقدار التربية الاجتماعية التي توفرها صلاة الجماعة للمصلين.

ثالثاً: **استحباب كون الإمام سيداً، عالماً**:

وذلك لقول رسول الله ﷺ: **(إمام القوم وافدهم فقدموا أفضلكم)**[١]، وعنه ﷺ: **(إن سركم أن تزكوا صلاتكم فقدموا خياركم)**[٢]، وعن الإمام الصادق، عن آبائه عليهم السلام أن النبي ﷺ قال: **(أئمتكم وافدكم إلى الله فانظروا من توفدون في دينكم وصلاتكم)**[٣]، ونهى عن تقديم غير العالم على العالم بقوله ﷺ: **(من أمّ قوما وفيهم من هو أعلم منه لم يزل أمرهم إلى السفال إلى يوم القيامة)**[٤].

يثقف هذا التشريع المجتمع لتقديم العلم والفضيلة وتكريم النبي ﷺ في أهل بيته وذريته، والذي هو مؤسس هذا الدين ومشيد بنيانه، وهذا خلق رفيع يهتم الشارع المقدس بتوفيره عند أفراد المجتمع، فكل فكر له قائد ومؤسس يبقى المقتنعون بهذا الفكر يدينون لهذا القائد المؤسس ويحتفون به وبما يمت إليه بصلة، ثم إن تقديم العلم يعني إماتة الجهل والخرافة والعقائد البالية، وإحياء الأخلاق والفضائل وكرائم الصفات، والنهوض بالمجتمع ليكون في مصاف المجتمعات المتحضرة والرائدة في جميع الأصعدة.

هذه أهم الأحكام والآداب التي ينبغي أن يتحلى بها إمام الجماعة في نفسه.

---

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٥، ص٤١٦.

(٢) المصدر السابق: ج٥، ص٤١٥.

(٣) المصدر السابق: ج٥، ص٤١٦.

(٤) المصدر السابق: ج٥، ص٤١٥.

أحكام وآداب إمام الجماعة أثناء الجماعة:

أولاً: أن يقف محاذياً لوسط الصف الأول:

فعن رسول الله ﷺ أنه قال: (**وسِّطوا الإمام وسدوا الخلل**)[١].

إن العدالة ـ ومن ضمنها العدالة الاجتماعية ـ من أهم ما أكد عليه الشارع المقدس في ضمن تعاليمه، كيف لا والله تعالى قد وصف نفسه بالعدل، بل أعدل العادلين، لذا فمن الطبيعي أن يكون العدل أُسّاً من أسس التعاليم الإسلامية، وهذا يتجلى بوضوح في جملة من تشريعات المنظومة الإسلامية ومن ضمنها صلاة الجماعة، وهي المظهر المهم من مظاهر التربية الاجتماعية في الإسلام، حيث حثَّ الشارع إمام الجماعة في أن يقف في وسط صف المأمومين ليمثل العدالة والتوازن وعدم الميل إلى أحد الجوانب وهو معنى الاستقامة أيضاً، حيث قال الله تعالى في محكم كتابه مخاطباً النبي ﷺ ومن خلاله الأمة الإسلامية جمعاء: ﴿**وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ**﴾[٢] إذ يدل على الوسطية وعدم الإفراط والتفريط.

والوسطية أيضاً من الصفات التي ندب إليها الإسلام، وتظهر أهمية ذلك الأمر بعد أن نعرف ـ كما تقدم ـ أهمية دور إمام الجماعة بالنسبة لباقي المصلين وما يمثله من قدوة حسنة لهم.

ثانياً: أن يصلي بصلاة أضعف المأمومين فلا يطيل إلا مع رغبة المأمومين بذلك:

فعن الإمام الصادق، عن أبيه، عن علي عليه السلام: (**آخر ما فارقت عليه حبيب قلبي أن قال: يا علي إذا صليت فصلِّ صلاة أضعف من خلفك**)[٣]، وفي رواية أن

(١) كنز العمال للمتقي الهندي: ج٧، ص٦٢٧.

(٢) سورة الشورى: آية ١٥.

(٣) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٥، ص٤٦٩.

رسول الله ﷺ كان ذات يوم يؤم أصحابه فيسمع بكاء الصبي فيخفف الصلاة[١]، وعنه ﷺ (في حديث) قال: **(من أمَّ قوما فلم يقتصد بهم في حضوره وقراءته وركوعه وسجوده وقعوده وقيامه ردت عليه صلاته ولم تجاوز تراقيه)** الحديث[٢].

وما هذه المبالغة من قبل الشارع المقدس في حق من أطال في صلاته وهو إمام لجماعة وعده بمنزلة الأمير الجائر إلا لبيان منزلة الفرد المؤمن في المجتمع الإسلامي وما له من قيمة كبيرة، فالمؤمن هو أعز ما في الوجود، بل خلق الله الوجود من أجله، ليبتليه فيثيبه بعد ذلك ويدخل جنته ورضوانه، وقد ظهر ذلك جلياً في روايات المعصومين عليهم السلام، ونحن نورد هنا جملة وافرة منها تأكيدا على هذا الأمر الذي نرى استهانة الناس به وعدم إعطائه الأهمية اللائقة به:

قال رسول الله ﷺ: **(مثل المؤمن عند الله كمثل ملك مقرب وإن المؤمن أغلى عند الله من ملك مقرب)**[٣].

وعن هشام بن سالم قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: **قال الله عز وجل: (ليأذن بحرب مني من آذى عبدي المؤمن، وليأمن غضبي من أكرم عبدي المؤمن، ولو لم يكن من خلقي في الأرض فيما بين المشرق والمغرب إلا مؤمن واحد مع إمام عادل، لاستغنيت بعبادتهما عن جميع ما خلقت في أرضي، ولقامت سبع سماوات وأرضين بهما، ولجعلت لهما من إيمانهما أُنسا لا يحتاجان إلى أنس سواهما)**[٤].

وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: **قال الله عز وجل: (قد نابذني من أذل عبدي المؤمن)**[٥].

وعن حماد بن بشير قال: سمعته عليه السلام يقول: قال رسول الله ﷺ: **قال الله عز**

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٥، ص٤٧٠.
(٢) المصدر السابق.
(٣) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج١٠، ص٣٦٧.
(٤) الكافي للشيخ الكليني: ج٢، ص٣٥٠.
(٥) المصدر السابق: ج٢، ص٣٥٢.

وجل: (من أهان لي وليا فقد أرصد لمحاربتي)[١].

وعنه عليه السلام قال: **(من استذل مؤمنا واستحقره لقلة ذات يده ولفقره شَهَره الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق)**[٢].

وعن الحسن بن عطية قال: كان أبو عبد الله عليه السلام واقفاً على الصفا فقال له عباد البصري: (حديث يروى عنك، قال: وما هو؟ قال: قلت: **حرمة المؤمن أعظم من حرمة هذه البَنية**، قال: **قد قلت ذلك، إن المؤمن لو قال لهذه الجبال: أقبلي، أقبلت**، قال: فنظرت إلى الجبال قد أقبلت فقال لها: **على رسلك إني لم أُرِدْك**)[٣].

وعن علي بن شجرة عنه عليه السلام قال: **(لله عز وجل في بلاده خمس حُرَم: حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وحرمة آل الرسول صلى الله عليه وآله، وحرمة كتاب الله عز وجل، وحرمة كعبة الله، وحرمة المؤمن)**[٤].

وعن جميل عن مرازم عنه عليه السلام قال: **(ما عبد الله بشيء أفضل من أداء حق المؤمن)**[٥].

وعنه عليه السلام قال: **(من عظم دين الله عظم حق إخوانه ومن استخف بدينه استخف بإخوانه)**[٦].

وعنه عليه السلام قال: **(والله ما عبد الله بشيء أفضل من أداء حق المؤمن، فقال: إن المؤمن أفضل حقاً من الكعبة)**[٧].

وعن أبي الأعز النحاس قال: سمعت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام يقول:

---

(١) الكافي للشيخ الكليني: ج٢، ص٣٥٢.
(٢) المصدر السابق: ج٢، ص٣٥٣.
(٣) الاختصاص للشيخ المفيد: ص٣٢٥.
(٤) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٢٤، ص١٨٦.
(٥) الكافي للشيخ الكليني: ج٢، ص١٧٠.
(٦) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٧١، ص٢٨٧.
(٧) مستدرك الوسائل للمحدث النوري: ج٩، ص٤٠.

(قضاء حاجة المؤمن أفضل من ألف حجة متقبلة بمناسكها، وعتق ألف رقبة لوجه الله، وحملان ألف فرس في سبيل الله بسُرُجِها ولُجُمها)[١].

وقد حث النبي ﷺ على أن يُعطى لكل إنسان في المجتمع الإسلامي قيمته وأهميته كاملة، وأن لا يتمايز أحدٌ على أحد بميزة دنيوية، بل حصر التمايز بموجب العمل الأخروي من التقوى والخلق الحسن.

وقد ورد عن النبي ﷺ: **(المؤمنون إخوة تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم، يسعى بذمتهم أدناهم...)**[٢]، فهذا الحديث الشريف يدل على أن كل مسلم في المجتمع كما أنه يمثل قيمة عليا وفرداً مهماً في المجتمع كذلك فهو مسؤول عن حماية باقي المسلمين ومراعاة مصالحهم، وهذا من أنفَس التعاليم التي حث عليها الشرع المقدس، ويظهر تجلي هذه الصفة العظيمة في الصلاة في هذا المستحب الذي ندب إليه المشرع الأقدس، حيث تبرز أهمية كل فرد من أفراد المصلين في مراعاة إمام الجماعة له، كائناً من كان وكذلك جميع المصلين يراعون خصوصيته إذا كان لا يستطيع أن يصلي إلا بصلاة سريعة ولا يتمكن من الإطالة، فهنا تبرز عدة جهات من الخُلق الاجتماعي التي حث عليها الشارع المقدس، منها:

١ـ الضمان الاجتماعي: حيث يرعى إمام الجماعة وباقي المصلين الشخص الضعيف والمريض والكبير ويصلّون بصلاته، لإشعاره باهتمام باقي المسلمين به، وقد ورد عن النبي ﷺ: **(من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم)**[٣].

٢ـ التسوية بين الناس وعدم التمييز الطبقي: فقد يكون هذا الشخص الضعيف أو المريض أو الكبير من عامة الناس أو فقرائهم أو بسطائهم علمياً واجتماعياً، وهذا لا يمنع من شموله بالعناية والرعاية الاجتماعية.

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق: ص٣٠٨.
(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٢٩، ص٧٦.
(٣) الكافي للشيخ الكليني: ج٢، ص١٦٣.

٣ـ تفقد أبناء المجتمع ومعرفة أحوالهم: إذ لا يتحقق هذا المستحب إلا بذلك، فلا بد أن يعرف إمام الجماعة المصلين وأحوالهم قبل الصلاة حتى يصلي بصلاة أضعفهم.

٤ـ التأكيد على مبدأ مهم من مبادي الإسلام وهو مبدأ (قضاء حوائج المؤمنين): فإنها ـ كما في الحديث ـ أفضل من عامة الصلاة والصيام، أي: من الصلوات والصيام المستحبين، فعن رجل من أصحابنا يكنى أبا أحمد قال: كنت مع أبي عبد الله عليه السلام في الطواف يده في يدي إذ عرض لي رجل له إليَّ حاجة فأومأت إليه بيدي فقلت له: كما أنت حتى أفرغ من طوافي، فقال لي أبو عبد الله عليه السلام : **ما هذا؟** قلت: أصلحك الله رجل جاءني في حاجة، فقال لي: **مسلم هو؟** قلت: نعم، فقال لي: **اذهب معه في حاجته،** فقلت له: أصلحك الله فأقطع الطواف؟ فقال: **نعم،** قلت: وإن كنت في المفروض؟ قال: **نعم وإن كنت في المفروض،** قال: وقال أبو عبد الله عليه السلام : **من مشى مع أخيه المسلم في حاجته كتب الله له ألف ألف حسنة ومحى عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة)**[١].

وهذا الخلق يتجسد أيضاً في الصلاة جماعة في هذه النقطة، إذ أن من المعلوم أفضلية الصلاة والاستغراق فيها وتطويلها، فهي لقام مع الله، فكما في الحديث: **(لو يعلم هذا المصلي ما في الصلاة ما انفتل**[٢]**)**[٣]، ويزيد على ذلك فضل الجماعة، ومع ذلك يفضل الله تعالى على جميع المصلين أن يسرعوا في صلاتهم ويتركوا هذا الفضل قضاءً لحاجة هذا المؤمن الذي معهم والذي لا يستطيع أن يصلي صلاة طويلة، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه: **(كان أتمّ الناس صلاة وأخفهم عملاً فيها)**[٤]، وبعد هذا

---

(١) الكافي للشيخ الكليني: ج٤، ص٤١٥.

(٢) أي: ما انصرف، وفي القاموس: انفتل وتفتل وجهه: صرفه.

(٣) الكافي للشيخ الكليني: ج٣، ص٢٦٥.

(٤) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٣، ص١١٨.

لا نعرف تشريعاً أعطى للإنسان ـ أي إنسان ـ قيمة كما أعطاها الإسلام له.

وهنا ينبغي التنبيه على أمر ربما غفل عنه بعض المؤمنين، وهو: أن هذا المستحب لا يعني بالضرورة الإسراع بحركات الصلاة بل الاقتصار على مقدار الواجب من الصلاة وترك المستحبات حتى لا تطول الصلاة، إذ رُبَّ مريض يضرُّ به السرعة في حركة الصلاة من القيام والركوع والسجود ثم النهوض مجددا، فقد يكون شيخاً كبيراً أو مريضاً منهكاً أو رجلاً بديناً، فكل هؤلاء لا يتحملون السرعة في أداء الصلاة وتنقطع أنفاسهم بذلك ولا يستطيعون مواصلة المتابعة مع الإمام والحال هذه، فينتقض الغرض من مراعاته بالسرعة في أداء الصلاة، والمفروض مراعاة حاله، فهذا الأمر الإستحبابي يتمثل عادة بما ذكرناه من ترك المستحبات مخافة تطويل الصلاة والاقتصار على أقل ما يحقق الصلاة لا الإسراع.

ثالثاً: أن يُسمع مَن خلفَه القراءة والأذكار، فيما لا يجب الإخفات فيه:

فعن أبي بصير عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: (**ينبغي للإمام أن يُسمع من خلفه كل ما يقول، ولا ينبغي لمن خلف الإمام أن يُسمعه شيئاً مما يقول**)[1].

وهذا الاستحباب من جملة شؤون الإمامة وأبرز مصاديقها حيث يقود الإمام المصلين، ويعرج بهم إلى الله تعالى في صلاته، وكم شاهدنا شيوع جو الإيمان عندما يجهر الإمام بمفردات الصلاة التي لا يجب الإخفات فيها، فيردد الذكر والأدعية ويتبعه مِن بعده باقي المصلين، بنبرة واحدة ولحن واحد، كأنهم سرب من الغرانيق الجميلة تشدو لبارئها وتُسبِّح بحمده، وهو أوضح مظهر من مظاهر الانقياد، حيث يتعلمون شيئاً فشيئاً الانقياد والتبعية الممدوحة، وهي التبعية الرشيدة المتزنة المبنية على العقل واختيار الشخص المناسب المتسم بالخلق والتدين ـ كما عرفنا من صفات إمام الجماعة ـ.

---

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٦، ص٤٠١.

رابعاً: **أن يطيل الركوع إذا أحس بداخل بمقدار مثلي ركوعه المعتاد**:

فعن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: (إني إمام مسجد الحي فأركع بهم فأسمع خفقان نعالهم وأنا راكع، فقال: **اصبر ركوعك ومثل ركوعك، فان انقطع وإلا فانتصب قائماً**)[1]، وعن جابر الجعفي قال: (قلت لأبي جعفر عليه السلام إني أؤم قوماً فأركع فيدخل الناس وأنا راكع فكم أنتظر؟ فقال: **ما أعجب ما تسأل عنه يا جابر انتظر مثلَي ركوعك، فان انقطعوا وإلا فارفع رأسك**)[2].

وهذا مظهر آخر من مظاهر احترام المؤمنين وتقديرهم بغض النظر عن مكانتهم الاجتماعية وغير ذلك ـ كما تقدم في ثانياً ـ حيث يلتقي معه في نقطتين من النقاط التي أشير اليها فيه، وهي النقطة الثانية والرابعة فراجع.

فكم جميلٌ أن نرى أن جميع المصلين ـ وربما يكونون بالعشرات ـ كلهم منحنون ينتظرون أخاً لهم يدخل في الصلاة، فيتكبدون عناء الانحناء من أجل أن لا يُحرم داخل من فضل هذه الركعة، أو ربما كل الصلاة ـ كما لو كانت الركعة الأخيرة ـ، وهو الغاية في التربية الاجتماعية على حب الآخرين.

خامساً: **أن لا يقوم من مقامه إذا أتم صلاته حتى يتم من خلفه صلاته**:

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: (**ينبغي للإمام أن يجلس حتى يتم كل من خلفه صلاتهم**)[3]، وعنه عليه السلام: (**إذا صليت بقوم فاقعد بعدما تسلم هنيئة**)[4]، وعن إسماعيل بن عبد الخالق قال سمعته يقول: (**لا ينبغي للإمام أن يقوم إذا صلى حتى يقضي كل من خلفه ما فاته من الصلاة**)[5].

وهذه أيضاً وظيفة أخرى من وظائف الإمام والتي هي في جوهرها رعاية

---

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٨، ص٣٩٥.

(٢) المصدر السابق: ج٨، ص٣٩٤.

(٣) المصدر السابق: ج٦، ص٤٣٣.

(٤) المصدر السابق: ج٦، ص٤٣٤.

(٥) المصدر السابق.

شؤون المصلين المعنوية والنفسية، لكي يكون موجوداً معهم يجيب على أسئلتهم ويرعى شؤونهم ويحل مشاكلهم فيكون بذلك قد أدى دوره على أكمل وجه.

إن التفاف الناس حول رجل واحد له تلك الصفات يسلمونه زمام أمورهم الأخروية عن طريق تسليمه أعز ما لدى الفرد المؤمن من عبادات وهي الصلاة، يعني أنهم يتعودون شيئاً فشيئاً في تسليم مقاليد أمورهم الدنيوية أيضاً إلى من يحمل تلك الصفات من القيم، وهذا وحده كافٍ في حصانة المجتمع من ترويج الفساد والمفسدين، فيرتقي المجتمع في أخلاقه وتصرفاته ليكون مجتمعاً مثالياً.

كما وإن اشتراط الجماعة بوجود إمام له مجموعة من المؤهلات الخاصة يؤدي بالمجتمع إلى توليد أناس قياديين قادرين على إدارة شؤون البلاد والعباد من الناحيتين الدنيوية والأخروية، فإمام الجماعة في الحقيقة قائد في المجتمع تقع عليه مسؤولية كثير من المهام الاجتماعية والدينية على حد سواء.

الاقتداء بوعي:

حين يثق الإنسان بمن اختاره قدوة له، فإن عليه أن لا يُغمض عينيه، ويلغي عقله، بل يكون اقتداؤه واتباعه على بصيرة ووعي، يقول تعالى: ﴿**قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾[١]، فالرسول ﷺ على بصيرة من دعوته، ومن اتبعه أَيضاً على بصيرة.

ذلك أن أي قائد أو قدوة لم يمنحه الله تعالى العصمة، فهو مُعرَّض للخطأ والانحراف، وهو بحاجة إلى إنضاج رأيه، وتعزيز قدراته بآراء وقدرات مَن حوله، مما يستلزم حركة عقولهم، وتفعيل أدوارهم إلى جانبه.

إن من أهم مشاكل الانقياد في المجتمعات المتخلفة، إلقاء العبء على القيادات، وانتظار المعاجز منها، مع تقاعس مَن حولها، كما ينقل القرآن الكريم عن منطق قوم نبي الله موسى عليه السلام: ﴿**فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**﴾[٢]، وقد تكون الهيمنة المفرطة للقيادة سبباً في جمود القاعدة ومصادرة دورها.

كما أن الأسوأ هو الاستسلام لتوجهات الزعامة دون أي تقويم أو تفكير، مما قد يوقع الإنسان والمجتمع في كوارث الأخطاء والانحرافات.

إن القرآن الكريم يذمّ النصارى لأنهم قلدوا زعاماتهم الدينية تقليداً أعمى، واتبعوهم اتباعاً مطلقاً دون أية ضوابط من دين أو عقل، فكأنهم بذلك يؤلهونهم من دون الله، يقول تعالى: ﴿**اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ**﴾[٣]، وروي عن عدي بن حاتم قال: (أتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب من ذَهب، فقال: **يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك**، فطرحته وانتهيت إليه وهو يقرأ هذه الآية: ﴿**اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ**﴾ حتى فرغ منها، فقلت له: إنا لسنا نعبدهم، فقال: **أليس يحرِّمون ما أحلَّ الله فتَحرِّمونه، ويُحلّون ما حرَّم الله**

---

(١) سورة يوسف: آية ١٠٨.

(٢) سورة المائدة: آية ٢٤.

(٣) سورة التوبة: آية ٣١.

فتستحلُّونه؟ فقلت: بلى، قال: **فتلك عبادتهم)**[١].

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه تلا هذه الآية: ﴿**اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللهِ**﴾، فقال: (**والله ما صاموا لهم ولا صلوا لهم، ولكن أحلوا لهم حراماً، وحرموا عَليهم حلالاً فاتبعوهم)**[٢].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنه قال: (**حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً، استُفتُوا فأَفتوا بغير علم فضَلُّوا وأضلُّوا)**[٣].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال في حديث: (**فإذا كان كذلك اتخذ الناس رؤساء جهالاً، يفتون بالرأي ويتركون الآثار، فَيَضِلون ويُضِلون، فعند ذلك هلكت هذه الأمة)**[٤].

ولا تنحصر الفائدة من البصيرة والوعي في تمييز القيادة الصحيحة عن غيرها والذي مثاله القيادات غير المعصومة، بل هناك فائدة أخرى أهم وأكبر وهي الثبات على القيادات الصحيحة سواء كانت معصومة أو لا.

فالقيادة الرشيدة التي تستمد تصرفاتها من الحق المستمد من أحكام الإسلام، والتي تتمثل بشخصية الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام ثم العلماء الربانيين الذين حذَوا حذوَهم من بعدهم والذين امتدحتهم روايات كثيرة، هذه القيادة الرشيدة لما كانت تنطلق في تصرفاتها من منطلق الحكمة والحق وهما مما يصعب تمييزهما على كثير من الأتباع، لذا احتاج الالتحاق بهم واتباعهم إلى التحلي بالإضافة إلى الإيمان بهذه القيادة إلى عنصر البصيرة، ومعناه هنا هو معرفة ثوابت الدين التي ينطلق منها هذا القائد كون تصرفاته نابعة منها، ولذا يكون الامتحان العسير الذي يمتحن فيه الأتباع هو في تصديق هذه القيادات أو عدم تصديقها، بسبب امتلاك الوعي أو عدمه، مما ينتج عنه البقاء منقادين لهم أو ينحرفون عنهم في أثناء الطريق،

---

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٩، ص٩٧.

(٢) الكافي للشيخ الكليني: ج١، ص٥٣.

(٣) تحف العقول لابن شعبة الحراني: ص٣٧.

(٤) مستدرك الوسائل للمحدث النوري: ج١٧، ص٣٠٧.

وقد زخر التاريخ الإسلامي بأمثلة رائعة من اتباع ذوي البصيرة من أصحاب النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، أمثال أمير المؤمنين وخديجة وفاطمة عليهم السلام ممن اتبع النبي ﷺ وكذلك باقي الصحابة الذين ثبتوا على تعاليمه ولم ينقلبوا على الأعقاب بعد رحيله ﷺ، ومن أمثلته أيضاً أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام الخلص الذين ساروا معه في المدافعة عن حقه المهتضم إلى النهاية ولازموا منهاجه بعد استشهاده عليه السلام، ومن بعده أصحاب الأئمة عليهم السلام من ذريته الذين امتُحنوا في ظروف حالكة مرت بها الأمة الإسلامية، وكان دور الأئمة عليهم السلام فيها تبيين الطريق الصحيح من غيره بعد عدم وضوحه واشتباه الحق بالباطل، فكان من ثبت منهم على طريق أهل البيت عليهم السلام هم ذوو البصائر، من أمثال مالك الأشتر وعدي بن حاتم الطائي و.... ، وكان على رأسهم من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام أبو الفضل العباس عليه السلام حيث ثبت إلى آخر لحظة في حياته على نصرة بن بنت رسول الله ﷺ وضحى بما يملك في الدفاع عن الحق الذي كان يجسده، وقد عبّر عن ذلك الإمام الصادق عليه السلام في زيارته عليه السلام بقوله: **أشهد أنك لم تهن ولم تنكل وأنك مضيت على بصيرة من أمرك**.....، وهكذا في باقي الأئمة تجد أمثلة مشرّفة من الأصحاب والأتباع.

وصلاة الجماعة باعتبارها تمثّل مظهراً من مظاهر الاجتماع الإسلامي، حيث يقف الجميع خلف إمام يؤدي بهم الصلاة، ضمن حالة من الانتظام والانضباط، فإننا نستطيع أن نقرأ في أحكام صلاة الجماعة، تجلّيات القيم والمبادئ التي يضعها الإسلام للاقتداء الصحيح، والإتباع الواعي، على المستوى الاجتماعي العام، حتى أطلق بعض الفقهاء المسلمين على إمامة الجماعة مصطلح الإمامة الصغرى.

جاء في معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية: أما الإمامة الصغرى (وهي إمامة الصلاة)، فهي ارتباط صلاة المصلي بمصلٍّ آخر، بشروط بيّنها الشرع، فالإمام لم يَصِرْ إماماً إلا إذا ربط المقتدي صلاتَه بصلاته، وهذا الارتباط هو حقيقة الإمامة، وهو غاية الاقتداء[1].

---

(١) معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية لمحمود عبد الرحمن: ج١، ص٢٨٢.

التعقيدات الاجتماعية:

إمامة الجماعة لو اقتصرت على الحدود الشرعية، فلن تكون إقامتها بتلك الدرجة من الصعوبة التي نجدها في الممارسة الاجتماعية لإقامة هذه الشعيرة، حيث نجد أن أغلب أوساط المجتمعات الشيعية تبالغ في هذه المسألة، حيث لم تعد مسألةَ تحقّق العدالة بحدودها الشرعية وطرق تحصيلها التي يذكرها الفقهاء، فالبعض يتصورون الشرط أن يكون إمام الجماعة من طلبة العلوم الدينية، وهو أمر قد يحثّ العلماء عليه في حدود مسألة إمام المسجد الراتب، عند تعيينه ليكون إماماً دائماً فيه، حيث ينبغي أن يكون من علماء الدين، وذلك من باب أنه سيكون له دور أكثر من مجرد إمامة الجماعة، كأن يمارس دور التثقيف الديني والاجتماعي، بالإضافة إلى وجود روايات تؤكّد أفضلية الائتمام بالأكثر علماً وورعاً، ولكن هذه الروايات ناظرة إلى مسألة التراتب والأفضلية في إمامة الجماعة، وليس إلى تحققها، فهي تتحقق وتصح بإمامة من عُرِفَ بعدالته.

ولكن في غير هذا الموضع يشجّع العلماء على إقامة الجماعة، بالحدود الممكنة، وليس شرطاً أن يكون الإمام من العلماء، فإذا لم يكن في المنطقة عالم ديني، فلا ينبغي أن تتعطل هذه الشعيرة، وإذا حان وقت الصلاة وهناك جمع من المؤمنين وليس فيهم عالم دين، فلماذا لا يقدّمون من يثقون به وتتوفر فيه شروط إمام الجماعة؟

والبعض قد يبالغ أكثر، فلا يكفي في نظره أن يكون إمام الجماعة من طلبة العلوم الدينية، بل لا بدَّ أن يكون مُجازاً من قبل المرجع، وهذا شرط غريب، حيث لم يرد حوله نص أو فتوى فقهية، فالمرجع لا يُعيّن أئمة الجماعة في المساجد، أو في أماكن العمل والتجمّعات العامّة.

وتشتدّ المبالغة عند البعض، فيشترطون أن يكون إمام الجماعة مقلِّداً لنفس المرجع الذي يقلِّدونه، وربما يشترطون أن يكون من نفس الانتماء والتوجّه الذي

ينتمون إليه.

إن التشدّد في مسألة إقامة الجماعة في غير ما اشترطه الشرع، له انعكاساته السلبية على مجتمعنا، ويمكن تصويرها في ناحيتين:

١ـ التشتت والتمزّق الاجتماعي:

فعندما نبالغ في مواصفات إمام الجماعة إلى الحدّ الذي يصل بنا إلى ألاَّ نصلي إلا خلف من يؤيدنا في توجهاتنا الفكرية والعملية، فهذا سيخلق جوّاً تصبح فيه المساجد مفروزة، كل مسجد هو لجماعة وفئة معينة، وبهذا تتكرس العصبيات والتصنيفات المرجعية والفئوية، وتتحوّل الجماعة من تجمّع عبادي يُقصد منه الوحدة والتآلف إلى مصدر من مصادر تفتت المجتمع وتشتته.

٢ـ انحسار إقامة الجماعة:

مع هذه الشروط التي توضع للإمام دون مستند شرعي، ستنحصر إقامة الجماعة في بعض المساجد، وهذه ظاهرة غير جيّدة، إذ من المفترض أن لا يبقى مسجد بدون صلاة جماعة، بل لا يكون المسجد المكان الوحيد الذي تقام فيه الجماعة، وإنما تستغل أماكن التجمّع، كالعمل والمدارس، والرحلات الجماعية والأسرية، فتقام فيها الجماعة، خصوصاً البيئات التربوية كالمدرسة، فمن المفترض أن تكون مكاناً ملائماً لتعويد الطلاب على إقامة الجماعة فيما بينهم، وأن يكون المعلمون قدوة لطلابهم في الالتزام بذلك، حيث يختار المعلمون أحدهم ليتقدّم ويؤمّهم، ومن المناسب أيضاً أن تمارس هذه الشعيرة المهمة في نطاق الأسرة فيتقدم الأب ويقيم الجماعة بأفراد أسرته.

ومما يساعد على انتشار هذه الثقافة والممارسة ما يمكن أن يقوم به أئمة الجماعة بأن يعيّن كل إمام نائباً له فيما لو حصل له ظرف طارئ، أو أن يبادر المصلون عند غياب الإمام إلى تقديم من يثقون به من بينهم، فما يحصل في معظم المساجد من

انفراط عقد الجماعة عند غياب الإمام، وأدائهم الصلاة فرادى، فهو ظاهرة سلبية خاطئة، فهل يخلو الجميع من شخص موثوق؟

ومناسب أن نذكر هنا موقف العالم الكبير الشيخ جعفر النجفي المشهور بكاشف الغطاء (المتوفى سنة ١٢٢٧هـ) حيث أبطأ يوماً عن الذهاب إلى المسجد لصلاة الظهر، فجعل الناس يصلون فرادى، فلما دخل المسجد جعل يوبِّخهم ويقول: أما فيكم من تُصلِّون خلفه؟ ثم رأى أحد التجار الأخيار يُصلي، فقال: دعونا نأتم بهذا العبد الصالح فائتم به هو والجماعة، فخجل التاجر خجلاً شديداً، ولا يمكنه قطع الصلاة، ولما فرغ من الصلاة تأخر خجلاً، فقال له الشيخ: لا بد أن تؤمنا في صلاة العصر أيضاً، فامتنع، فأصرّ عليه، فقال التاجر: هذا لا يمكن، قال الشيخ: إذاً فافتد نفسك بمال تدفعه للفقراء، فدفع مائتي شامي أو أزيد وفرّقها على الفقراء، وأعفاه من الإمامة لصلاة العصر[1].

(١) أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: ج٤، ص١٠١.

أحكام وآداب المأمومين في أنفسهم:

إن ما يختص بالمأمومين من أحكام تهتم بالدرجة الأساس بزيادة الكم المعرفي الذي يبنيه الفرد في جانب العقائد، والنظرة الصحيحة تجاه المسجد ومكانته الكبيرة عند الله في الإسلام، وهذا الأمر مما يجب أن يركز عليه، فالمسجد يعتبر بيت الله المعنوي، ويترتب على هذا الاعتبار أمران:

١ـ **حب الذهاب إليه**: وخاصة عند إرادة تأدية العبادة، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ : **(من تطهر في بيته، ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطواته إحداها تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجة)**[١]، وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: **(مكتوب في التوراة: إن بيوتي في الأرض المساجد فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي ألا أن على المزور كرامة الزائر)**[٢]، وعنه عن آبائه عليهم السلام ـ في حديث المناهي ـ قال: قال رسول الله ﷺ : **(ومن مشى إلى مسجد يطلب فيه الجماعة كان له بكل خطوة سبعون ألف حسنة، ويرفع له من الدرجات مثل ذلك، فإن مات وهو على ذلك وكّل الله به سبعين ألف ملك يعودونه في قبره ويبشرونه ويؤنسونه في وحدته، ويستغفرون له حتى يبعث)**[٣]، بل التنفير عن الصلاة في غيره، خاصة لجار المسجد، ففي الحديث عن النبي ﷺ : **(لا صلاة لجار المسجد إلا في مسجده)**[٤]، وعن أمير المؤمنين عليه السلام : **(الجلسة في الجامع خير لي من الجلسة في الجنة، لأن الجنة فيها رضى نفسي، والجامع فيه رضى ربي)**[٥]، وكل من الطائفتين تحث على زيارة المسجد عند إرادة الصلاة حتى لو كانت مستحبة،

---

(١) كنز العمال للمتقي الهندي: ج٧، ص٢٩٧.
(٢) ثواب الأعمال للشيخ الصدوق: ص٢٧.
(٣) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٨ ص٢٨٧.
(٤) المصدر السابق: ج٥، ص١٩٥.
(٥) المصدر السابق: ج٥، ص٢٠٠.

ليعبر الفرد المسلم بذلك عن شدة ارتباطه بخالقه، وحبه وحب زيارته له في بيته، فقد روي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنّه قال: (**قال رسول الله صلى الله عليه وآله لجبرئيل عليه السلام يا جبرئيل أيّ البقاعِ أحبُّ إلى الله عزَّ وجلَّ؟ قال: المساجد، وأحبُّ أهلها إلى الله أوّلهم دخولاً وآخِرَهم خروجاً منها**)[1]، وهو تعبير كنائي عن شدة رغبة العبد للحضور وتلهفه للصلاة فيه وإجابة دعوة الله ورغبته في الاستزادة من أجوائه الروحانية، والمظهر الأساسي لهذا الحب هو المسارعة للحضور إلى المسجد فيكون من أوائل الواصلين إليه، وعدم الخروج منه مبكرا ليشير إلى شدة تعلقه به ورغبته في ذكر الله ومناجاته، وهذا أوضح مقياس لحب الله تعالى بعيدا عن مغالطة الإنسان لنفسه ومحاولته إقناعها بالحب من دون ذلك.

٢- **الاهتمام بمظهر الشخص**: من نواح مختلفة عند أداء مراسم الزيارة، وذلك بلحاظ أهمية المزور وهو الله تعالى، وهذا الاهتمام يكون من حيث تنظيف البدن والثياب والتعطر والتزين والهدوء والسكينة وخفض الصوت وعدم التكلم بأمور الدنيا وعدم اصطحاب الأطفال الذين يتوقع منهم إثارة الضوضاء في المسجد أو تعريض المسجد للنجاسة... إلى غير ذلك مما هو مذكور في الكتب الفقهية، ونعرض هنا جملة من الروايات التي تشير إلى ذلك مبوبة حسب عناوينها:

- **دخول المسجد على طهارة**: عن أبي جعفر عليه السلام قال: (**إذا دخلت المسجد وأنت تُريد أن تجلس فلا تدخله إلا طاهراً، وإذا دخلته فاستقبل القبلة، ثم ادع الله وَسَلْه، وسمّ حين تدخله، واحمد الله، وصلّ على النبي صلى الله عليه وآله**)[2].

- **استحباب التعطر**: روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: (**كان يعرف موضع جعفر عليه السلام في المسجد بطيب ريحه وموضع سجوده**)[3]، وروي عن الإمام

(١) الكافي للشيخ الكليني: ج٣، ص٤٨٩.

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٥، ص٢٤٥.

(٣) مكارم الأخلاق للشيخ الطبرسي: ص٤١-٤٢.

الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: (**ركعتان يصليّهما متعطرٌ أفضل من سبعين ركعة يصليهما غير متعطر**)[١].

ـ النهي عن دخول المساجد لمن أكل الثوم أو غيره مما له رائحة كريهة:

فعن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه سُئِلَ عن أكل البصل؟ فقال: (**... إذا أكلت ذلك فلا تخرج إلى المسجد**)[٢]، وقد ورد مثل ذلك عن العامة أيضا، فقد روي عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أنه قال: (**مَنْ أَكَلَ من هذهِ الشَّجَرَة (يعني الثوم) فلا يقربَنَّ مسجدنا**)[٣]، وروي عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أنه قال: (**مَن أَكَلَ ثُوماً أو بصلاً فليَعْتَزِلنا أو فليعتزل مَسْجِدَنا**)[٤]،

ـ كراهة تلويث المسجد بالبصاق والنخامة: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: (**إن المسجد لينزوي من النخامة كما تنزوي الجلدة من النار، إذا انقبضت واجتمعت**)[٥]، وعن الإمام الصادق، عن أبيه عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أن علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: (**البزاق في المسجد خطيئة وكفارته دفنه**)[٦]، وعنه، عن أبيه عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: (**من رد ريقه تعظيمًا لحق المسجد جعل الله ريقه صحة في بدنه، وعوفي من بلوى في جسده**)[٧]، وعنه، عن أبيه عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قال: (**من رد ريقه تعظيماً لحق المسجد جعل الله ذلك قوة في بدنه، وكتب له بها حسنة، وحط عنه بها سيئة، وقال: لا تمر بداء في جوفه إلا أبرأته**)[٨].

ـ كراهة رفع الأصوات: سأل أبو ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قائلاً له: (بأبي أنت وأمي يا رسول الله كيف تعمر مساجد الله؟ قال: **لا ترفع فيها الأصوات ولا يخاض فيها بالباطل، ولا يشترى فيها ولا يباع واترك اللغو ما دمت فيها، فإن لم تفعل فلا**

---

(١) ثواب الأعمال للشيخ الصدوق: ص٤٠.

(٢) مكارم الأخلاق للشيخ الطبرسي: ص١٨٢.

(٣) رياض الصالحين للنووي: ص٥٠٠.

(٤) المصدر السابق.

(٥) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٥، ص٢٢٤.

(٦) المصدر السابق: ج٥، ص٢٢٢.

(٧) المصدر السابق.

(٨) المصدر السابق.

تلومن يوم القيامة إلا نفسك)[١].

ـ **كراهة النوم في المسجد**: عن النبي ﷺ: **(من نام في المسجد بغير عذر، ابتلاه الله بداء لا زوال له)**[٢].

ـ **كراهة البيع والشراء في المسجد ودخول المجانين والصبيان**: قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: **(جنبوا مساجدكم الشراء والبيع والمجانين والصبيان والضالة والاحكام والحدود ورفع الصوت)**[٣].

ـ **كراهة إنشاد الشعر**: عن علي بن الحسين عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: **(مَن سمعتموه ينشد شعراً في المساجد فقولوا: فضّ الله فاك، إنما نصبت المساجد للقرآن)**[٤].

ـ **كراهة الكلام بأمور الدنيا**: ورام بن أبي فراس في كتابه قال: قال عليه السلام: **(يأتي في آخر الزمان قوم يأتون المساجد فيقعدون حلقاً ذكرهم الدنيا وحب الدنيا، لا تجالسوهم فليس لله فيهم حاجة)**[٥].

ـ **كراهة الخروج من المسجد لمن سمع النداء**: عن الإمام الصادق، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: قال النبي ﷺ: **(من سمع النداء في المسجد فخرج من غير علة فهو منافق إلا أن يريد الرجوع إليه)**[٦].

---

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٧٤، ص٨٥.
(٢) مستدرك الوسائل للمحدث النوري: ج٣، ص٣٧٣.
(٣) الخصال للشيخ الصدوق: ص٤١١.
(٤) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٥، ص٢١٣.
(٥) المصدر السابق: ج٥، ص٢١٤.
(٦) المصدر السابق: ج٥، ص٢٤٢.

أحكام وآداب المأمومين أثناء الصلاة:

وهذه الأحكام كثيرة منها:

أولاً: رص الصفوف:

من قوانين صلاة الجماعة تنظيم الصفوف وهو أمر يجب أن يراعى في صفوف الجماعة، فهذه سنة رسول الله ﷺ وسيرته حيث كان يهتم اهتماماً بالغاً بهذا الأمر، ويتولى بنفسه تنظيم صفوف الجماعة[١] وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: (**سدّوا فُرَج الصفوف ومن استطاع أن يتم الصف الأوّل، والذي يليه فليفعل، فإن ذلكم أَحبُّ إلى نبيكم، وأتمُّوا الصفوف، فإن الله وملائكته يصلّون على الذين يتمون الصفوف**)[٢].

وروى زرارة عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: (**ينبغي للصفوف أن تكون تامة متواصلة بعضها إلى بعض، ولا يكون بين الصفين ما لا يتخطى[٣] يكون قدر ذلك مسقط جسد إنسان إذا سجد**)[٤].

ولابد على كل حال من أن تكون الصفوف متّصلة، ولا تكون بين المصلين فواصل.

إن الاهتمام برصِّ الصفوف في الصلاة تربية إسلامية مهمة ولها جذور تربوية في عمق التشريع الإسلامي، فقد مدح الله تعالى في كتابه العزيز مَن يقاتل في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص، وبيّنَ حبَّه لهم، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنيَانٌ مَرْصُوصٌ**﴾[٥]، والصلاة أيضاً ساحة للحرب، ولكن مع الأهواء والشيطان، فهي ساحة الجهاد الأكبر، كما عبر النبي ﷺ عنه،

---

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٨٨، ص٢٠.

(٢) المصدر السابق: ج٨٥، ص١٨.

(٣) أي مسافة لا يقطع بخطوة بل يكون أكثر منها. أي فاصلة لا تقطع بخطوة وتكون أكثر منها تباعدا .

(٤) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق: ج١، ص٣٨٦.

(٥) سورة الصف: آية ٤.

فَرَصُّ الصفوف صفة ممدوحة في المجتمع حث الشارع على إيجادها فيه، فالمجتمع الإسلامي الذي يهتم بحصانة أفراده لابد له من أن يعوِّدهم على التراص فيما بينهم والتكاتف لمواجهة الأخطار المحدقة به، وما هذا الاستحباب المشرَّع في صلاة الجماعة إلا تعويدٌ يوميٌّ على هذا الأمر، وهو لا يحصل إلا بنزع الأحقاد من نفوس أفراده وزرع المحبة والأخوة فيما بينهم، لتكون الصفوف مبنية بناءً محكماً من الخارج والداخل، ولا يكونوا كما عبّر سبحانه في كتابه: ﴿**تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى**﴾[١]، فرصُّ الصفوف حالة تُعبر عن قوة وتماسك المجتمع وهي جانب وقائي يعطي للمجتمع من القوة والمَنَعَة ما يؤيس الأعداء من الطمع فيهم، ولنا في معرفة أهمية ذلك ملاحظة أن أهم خطط أعداء الإسلام من اليهود والكفار في إضعاف المجتمعات الإسلامية واحتلالها كان شعار (فرِّق تَسُد) الذي كان وما يزال البرنامج الأكثر فعالية وفتكاً في إضعاف المسلمين وتكالب الأعداء عليهم.

هذا من جانب، ومن جانب آخر فهناك حرب أخرى أشد وأكثر احتياجاً للتراص فيما بين أفراد المجتمع لمواجهة العدو فيها وهي الحرب مع الشيطان والأهواء والمفاسد الأخلاقية والانحرافات الفكرية، فهي تحتاج إلى تراصٍّ أكبر ليس جسدياً فحسب، بل روحياً وفكرياً وعاطفياً، فتحتاج إلى التثقيف الصحيح ودفع الشبهات العقائدية والفكرية وتفعيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لضمان بقاء الوحدة بين أفراد المجتمع وعدم تشتتهم يميناً وشمالاً.

ثانياً: أفضلية الصف الأول:

ينبغي أن نؤكّد في هذا الخصوص على أن الوقوف في الصفوف الأولى يتضمن ثواباً وأجراً وميزة أكبر، حتى أن رسول الله ﷺ قال: (**لو يعلم الناس ما في الصف الأول، لم يصل إليه أحد إلا بالسهام**)[٢]، وعنه ﷺ قال: (**إن مَن كَبرَّ في الصلاة،**

---

(١) سورة الحشر: آية ١٤.

(٢) دعائم الإسلام للقاضي النعمان: ج١، ص١٥٥.

يحبُّه الله ويقول: عبدي، وأنا الأكبر، وفضل الصف الأول على الثاني، كفضلي على أمتي)[١]، وقال أبو الحسن موسى بن جعفرعَلَيْهِالسَّلَامُ: **(إن الصلاة في الصف الأول كالجهاد في سبيل الله عز وجل)**[٢]، وعن أبي جعفر الباقرعَلَيْهِالسَّلَامُ قال: **(أفضل الصفوف أولها، وأفضل أولها ما دنا من الإمام)**[٣].

لكن المصلين يتحاشون ـ للأسف ـ لأسباب مجهولة أو لغير سبب أصلاً الحضور في الصف الأوّل، مفضّلين الوقوف في الصفوف الوسطى أو الأخيرة، وهذا الأمر خطأ لابدّ من معالجته وتصحيحه والتأكيد على أن ترك الصفّ الأول من الجماعة ليس أمراً فطرياً.

أفضلية التقدم على التراجع: فالإسلام دين التقدم والانفتاح وعدم الانطواء على الذات أو الإحساس بالعزلة والتقوقع، فهو يربي النفوس على تحمل المسؤولية وأن يكونوا قياديين في المجتمع، فتعوّد الكون في المواقع المتقدمة يبني شخصية الفرد على حب المسؤولية والقيادة، لا سيما إذا عرفنا أن أفراد الصف الأول يتحملون مسؤولية صحة صلاة المأمومين في سائر الصفوف التي خلفهم.

ثالثاً: أفضلية الجانب الأيمن من إمام الجماعة:

فإذا كان عدد المصلين ضئيلاً، استحب لهم الوقوف في الجانب الأيمن من الإمام، فعن أمير المؤمنينعَلَيْهِالسَّلَامُ أنه قال: **(أفضل الصفوف أولها، وهو صف الملائكة، وأفضل المقدم ميامن الإمام)**[٤]، وروي عن أبي عبد الله الصادقعَلَيْهِالسَّلَامُ أنه قال: **(من صلى عن يمين الإمام، أربعين يوماً، دخل الجنة)**[٥]، وعن الإمام الرضاعَلَيْهِالسَّلَامُ:

---

(١) مستدرك الوسائل للمحدث النوري: ج٦، ص٤٦١.
(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٨، ص٣٠٧.
(٣) المصدر السابق: ج٥، ص٤٨٦.
(٤) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٨٥، ص١٨.
(٥) مستدرك الوسائل للمحدث النوري: ج٦، ص٤٦١.

(أفضل الصفوف أولها، وأفضل أولها ما قرب من الإمام)[١].

إن التيامن شعار الإسلام وسمته البارزة، وكلما كانت المنظومة الفكرية التي يتبناها نظام معين سواء كان هذا النظام قد أتى به حزب دنيوي أو مؤسسة ربحية تجارية أو دولة مدنية أو دين سماوي أقول: هذه المنظومة الفكرية لهذه الجهة أو تلك كلما كانت تستعمل الرمزية بشكل متسق ومطرد وتوظف هذه الرمزية لتربية المجتمع على المُثل والأخلاق كلما كان هذا الأمر مؤشراً للنضج الفكري الذي ينبع منه هذا النظام.

والإسلام من أنضج النُظُم الفكرية وأعمقها، كيف لا وهو من إعداد رب العالمين على يد أشرف المرسلين ﷺ ثم هو في نفسه قد اُعد ليكون دستوراً للبشرية على امتداد عمرها في هذه الحياة.

ونراه بعد ذلك زاخراً في كل تفاصيله بالمؤشرات على التكامل والتربية ومن ذلك شعار اليمين الذي وظّفه الشارع على لسان نبيه الكريم ﷺ وأهل بيته الميامين عليهم السلام في سيرتهم العملية وإرشاداتهم المتكثرة للمجتمع، فترى الحث على استعمال اليمين في كثير من تفاصيل الحياة بْدِأ من دخول المساجد بالرجل اليمنى وإلى الأكل باليد اليمين، والنوم على الجانب الأيمن إلى غير ذلك من تطبيقات لهذه الفكرة الواحدة، ومنها هذا الأمر الذي أُكد عليه في صلاة الجماعة.

رابعاً: تقديم الأفضل ديناً، ووجاهة اجتماعية في الصف الأول:

فعن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: **(ليكن الذين يلون الإمام منكم أولوا الأحلام منكم والنهى، فإن نسي الإمام أو تعايا قوموه...)** الحديث [٢].

وهذا الأدب يعوّد المجتمع على احترام الأخلاق والآداب والمُثل الإسلامية، فتقديم ذي الدين والفضل تقديم لنفس الدين والفضل والمُثل الأخلاقية وهذا هو

---

(١) فقه الرضا عليه السلام لابن بابويه القمي: ص١٤٣.

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٥، ص٣٨٦.

شعار الإسلام، فرسول الإسلام إنما جاء ليتمم مكارم الأخلاق، وهذا في مجال التطبيق يحتاج إلى تربية فعلية للمجتمع للتعود على تمييز الصالح من غيره ثم تقديم الصالح على غير الصالح.

إن هذا التعويد له آثار اجتماعية مهمة، فسوف يمارس هذا المجتمع نفس الشيء في كل مجالات الحياة وفي كل مؤسسات المجتمع المختلفة، وإذا ما تم ذلك فسوف يقود المجتمعَ رجالهُ الصالحون فتعمر البلاد بالصلاح وتبنى المؤسسات على أُسس صالحة لتثمر برامج وأعمالاً تعمق الخلق بما يرجع إلى المجتمع بالخير والسعادة في الدارين.

خامساً: **إذا كان المأموم امرأة فتتأخر عنه، وإذا كان رجل وامرأة وقف الرجل خلف الإمام والمرأة خلفه، وإن كانوا أكثر اصطفوا خلفه وتقدم الرجال على النساء**:

فعن الفضيل بن يسار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: (**أصلي المكتوبة بأم علي؟ قال: نعم تكون عن يمينك يكون سجودها بحذاء قدميك**)[1]، وعن القاسم بن الوليد قال: سألته عن الرجل يصلي مع الرجل الواحد معهما النساء، قال: **يقوم الرجل إلى جنب الرجل ويتخلفن النساء خلفهما**)[2]، وعن الإمام الصادق، عن أبيه، عن علي عليهم السلام أنه كان يقول: (**المرأة خلف الرجل صف، ولا يكون الرجل خلف الرجل صفاً، إنما يكون الرجل إلى جنب الرجل عن يمينه**)[3]، وعن حماد بن عيسى قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: **قال أبي: قال علي** عليه السلام: **كن النساء يصلين مع النبي** صلى الله عليه وآله **وكن يؤمرن أن لا يرفعن رؤسهن قبل الرجال لضيق الأزر**)[4].

---

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٨، ص٣٣٢.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق: ج٨، ص٣٤٣.

إن من أروع ما جاء به الإسلام ـ وكل ما جاء به رائع ـ هو نظره إلى المرأة، ومكانة المرأة بحسب الفكر الإسلامي، خاصة إذا نظرنا إلى الزمان والمكان الذي ظهر فيه الإسلام، فقد كانت المرأة ـ ولا تزال ـ في المجتمع الآخر سلعة تباع وتشترى للّهو ساعة ثم ترمى ويبحث بعدها عن أخرى لنفس السبب، فجاء الإسلام وأعطى للمرأة أهمية بالغة إذ هي الأم المربية للجيل الجديد والأخت والبنت والزوجة، وما أدراك ما الزوجة فهي شريكة الزوج في مواجهة الحياة وسَكَنه وستره الذي يتستر به ويشبع جوارحه ويرتوي من فيض حنانها.

فقد أعطى الإسلام للمرأة حقّها الذي يناسب خلقتها من دون أن يتاجر بها باسم المساواة تارة وباسم الحرية والتحرر أخرى، ومن دون أن يكبلها ويستعبدها ثالثة، فهو مثال الاتزان والعدل في التشريع الذي يعطي كل ذي حق حقه.

فقد وازن الإسلام بشكل رائع بين أمرين يُرى ـ للوهلة الأولى ـ صعوبة الجمع بينهما كما يروّج لذلك أعداء الإسلام، وهما العفة والحشمة من جانب، والعمل والانخراط في المجتمع من جانب أخر.

ومن مظاهر هذه الازدواجية الفريدة المتجسدة في صلاة الجماعة أيضا هو التحاق كل من المرأة والرجل إلى صلاة الجماعة وعدم منع المرأة من الحضور إليها، ولكن بشكل لم يغفل فيه جانب العفة والاحتشام الذي هو من أهم ركائز المجتمع الاسلامي. فقد رتّب الشارع وقوف المصلين بشكل يمنع من تقدم المرأة على الرجل أو محاذاتها له بحيث تثير حركتُها الصلاتية غرائزَه فتشوِّش عليه وتمنعه من العروج إلى خالقه في الصلاة.

وهنا يبرز إشكال من هذا الطرح، وهو أن تقديم الرجل وتأخير المرأة هل فيه إيحاءات تعني تأخر المرأة عن الرجل في الحياة وتقديم الرجل عليها فيها؟.

وهذا إشكال يثيره مَن ينظر إلى الإسلام من زاوية واحدة من دون الاطلاع

على جميع تشريعات الإسلام، أو من يكيد للإسلام ويحاول تشويه صورته.

ولكن جوابه ليس بعيداً عن الأذهان ـ بعد ما تقدم من ضرورة النظر إلى الإسلام بكلٍّ متكامل آخذين بنظر الاعتبار خِلقة كل من الرجل والمرأة ـ فالإسلام دين لاحَظَ في منظومته التشريعية أن تكون منسجمة مع خِلقة الإنسان وفطرته، فالمرأة أراد الله لها أن تكون حاضنة ومربية للنَشيء الجديد فأودع فيها ما يحقق ذلك من ناحية جسدية ومن ناحية نفسية، وأراد للرجل أن يعمل ويبني الحضارة ويكسب الرزق، فخلق فيه ما يناسب ذلك، وما دُعاة الحرية والمساواة بين المرأة والرجل إلا أحد شخصين، فإما غافل عن مقتضى التكوين والفطرة الإنسانية وما تستوجبه من التوافق بينها وبين الوظائف التي تناط بها، وإما متغافل عن ذلك ويحاول أن يشوّه الإسلام ويشبّه على أبنائه، أو يجر المجتمع إلى الرذيلة التي هي الهدف الأساس من هذه الشعارات الشيطانية الجوفاء.

فتقدُم الرجل في الصلاة إشارة رمزية إلى تقدم رمز العمل، وتأخر المرأة فيها ـ أي: في الصلاة ـ إشارة رائعة إلى مطلوبية أن تكون المرأة خلف الرجل تسنده وتمده بالدعم العاطفي والمعنوي وتربي له أبناءه في البيت، وليس محلها الشارع وأماكن الظهور والسفور، هذا من جهة ومن جهة أخرى، فلأن المرأة قد خُلقت ـ لحكمة ما ـ وكلها عورة ـ كما في الروايات ـ فهي مثيرة للشهوة بكل تفاصيل جسدها وحركاتها وسكناتها، فتأخيرها وتقديم الرجل يعني تقديم العقل والعمل على العاطفة والشهوة، وليس يعني ذلك أن العقل أفضل من العاطفة أو انعدام العقل في المرأة وانعدام العاطفة في الرجل، بل هو يعني: أن ما يناسب الحالة الاجتماعية في الحياة هو تقديم مقتضى العقل والحكمة لا تقديم العاطفة والشهوة، وكذلك فإن كلاً من العقل والعاطفة جُعِل بشكل أكبر وآكد في المخلوق الذي يحتاجه أكثر، فالمرأة لما خُلِقت لتربية النَشيء الجديد كان مقتضى ذلك تحلّيها بعاطفة كبيرة تمكنها

من إعداد الأطفال وتربيتهم وتحمل عناء ذلك، والرجل لمّا كان ينصبّ عليه عبء صنع الحياة والرزق والكسب وقيادة الأمة، فكان ما يناسب ذلك أن تركز فيه جنبة العقلانية بشكل أكبر من العاطفة، وهذا معنى كبير فيه من الكلام والتفصيل ما لا يسعه هذا المختصر، وينفتح منه أبواب كثيرة وتساؤلات مختلفة لسنا بصدد الإجابة عنها.

سادساً: يكره للمأموم الوقوف في صف وحده إذا وجد موضعاً في الصفوف:

فعن السكوني، عن جعفر عن أبيه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: **قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تكونن في العثكل، قلت: وما العثكل؟ قال: أن تصلي خلف الصفوف وحدك، فإن لم يمكن الدخول في الصف قام حذاء الإمام أجزأه، فإن هو عاند الصف فسدت عليه صلاته)**[١].

إن الإسلام حث في روايات كثيرة وردت في موارد مختلفة على اندماج أفراده في المجتمع ونبّه على خطورة الانفراد في الرأي أو التصرف أو الانعزال في الحياة، لما لهذا الأمر من مخاطر كبيرة، فالتفرد بالرأي يؤدي بصاحبه إلى الخطأ في التفكير، ثم الوقوع في الخطأ العملي المعبّر عنه في أَلسِنة الروايات بالهلاك، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: **(مَنِ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِه هَلَكَ، ومَنْ شَاوَرَ الرِّجَالَ شَارَكَهَا فِي عُقُولِهَا)**[٢]، وقد أمر القرآن الكريم نبيه العظيم صلى الله عليه وآله في موارد أن يستشير المسلمين في بعض أمورهم، منها قوله تعالى: ﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ**﴾[٣] ليُعلِّمَهم هذه السنة من جهة، وليتعرف على مطاوي نفوسهم من جهة أخرى.

ومن الجانب العملي فالانعزال وترك المجتمع فيه مخاطر نفسية وسلوكية كثيرة

---

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٨، ص٤٠٧.

(٢) نهج البلاغة تحقيق صالح: ص٥٠٠.

(٣) سورة آل عمران: آية ١٥٩.

على الفرد، بالإضافة إلى أن هذا السلوك هو خلاف فطرة الله التي فطر الناس عليها من الاجتماع والتعاون، وهو أيضاً خلاف سنن الله في الأرض من الحاجة في العيش إلى الآخرين، فعن علي عليه السلام قال: **قلت: اللهم لا تحوجني إلى أحد من خلقك، فقال رسول الله** صلى الله عليه وآله **: يا علي لا تقولن هكذا، ما من أحد إلا وهو محتاج إلى الناس، قال: فقلت: كيف أقول يا رسول الله؟ قال: قل: اللهم لا تحوجني إلى شرار خلقك، قلت: يا رسول الله ومن شرار خلقه؟ قال: الذين إذا أَعطَوا مَنُّوا، وإذا مَنُّوا عابوا**)[1].

ثم إن الانفراد والانعزال يسهِّل من هجوم الشبهات والأفكار المنحرفة على الشخص، مما يؤدي به إلى الخروج عن الجادة الصحيحة، ففي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله : (**عليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب القاصية**)[2]، كما وإن الشخص الذي لا يخالط بني جنسه في المجتمع وينعزل عنهم، لا يعرف حاله من قبل الآخرين، فيسهل على المريدين به السوء اتهامه بأي تهمة تمس دينه أو خلقه أو غير ذلك، ويجد من يصدّقه فيها، وذلك لأنه لم يخالط الناس فيعرفوا صفاته وأخلاقه ودينه حتى يتسنى لهم تكذيب هذا الشخص، وبذلك ينفتح الباب لدخول الشائعات المغرضة في المجتمع.

سابعاً: يمكن للنساء عند إحرازهن لسائر الشروط الواجب توفرها في إمام الجماعة أن يؤمَّن غيرهن من النساء، ويجب عليهن ـ سواء كنّ في مقام الإمام أو المأموم ـ مراعاة جميع الأمور بالوجه الخاص بالنساء، إذ أن بين الرجل والمرأة اختلافاً في الأحكام والآداب لوحظ ابتداءً من الوضوء وانتهاءً بكيفية أداء الركوع والسجود وكيفية وقوفهن في صلاة الجماعة، وسائر الآداب والأحكام.

---

(١) تنبيه الخواطر للشيخ ورام: ص٣٩، مستدرك الوسائل للمحدث النوري: ج٥، ص٢٦٣.

(٢) كنز العمال للمتقي الهندي: ج٧، ص٥٨١.

والحديث عن هذا الموضوع تكملة للحديث عن الموضوع السابق وإشباع لهذه الفكرة من باقي الجهات، فهذا التشريع يؤكد بما لا مجال فيه للشك على أن الإسلام لم يرد من تشريع الحجاب للمرأة وكراهة الظهور الاجتماعي مع الرجال بشكل غير مبرر أن يعزل المرأة عن الحياة ويهمش دورها، بل أراد لها أن يصونها عن المغريات ويهيأ لها عناصر النجاح في المهمة التي أنيطت بها وهي تربية الأبناء وتأهيل الأسرة، والدليل على ذلك أنه في مورد الأمن من موجبات هذه المخاطر قد أتاح لها كل ما يمارسه الرجال فيما بينهم من أعمال، فهي إذا كانت مع باقي النساء فلها أن تمارس كل حيثيات صلاة الجماعة حذو القذة بالقذة، فكما أن الرجال من حقهم إقامة الصلاة بإمامة واحد منهم فكذلك المرأة يمكنها أن تَؤم باقي النساء من بني جلدتها، مادام المحذور غير موجود، وبعد ذلك جعل الشارع الأقدس صلاة المرأة مختلفة في بعض تفاصيلها عن صلاة الرجل بما يؤشر إلى عوامل الاختلاف التكوينية أو الأخلاقية والشرعية بينهما، ولَعمري فإن هذا بحد نفسه عين العدل والإنصاف، بل هو مقتضى ملاءمة روعة الخِلقة بدقة تفاصيلها بكمال التشريع المناسب لذلك، وللأسف فإن من يريد المساواة بين الجنسين، فهو يحاول إغماض عينه عن الخصوصيات، وإلغاء عوامل التميّز في كل منهما، بل هو أكثر من ذلك فحين يريد أن تكون المرأة مثل الرجل فهو يحاول:

الإشارة من طرف خفي إلى أن صفات الرجل كمال وصفات المرأة نقص، وإلا فما الداعي لترجيح صفات الرجل على صفات المرأة في التغليب؟

إلغاء وتهميش المرأة عن طريق قتل عناصر تميزها التي بها تكون امرأة، وبذلك تعيش منسلخة عن واقعها وتأثير هذا الانسلاخ على نفسيتها وأحاسيسها، ولذا نجد المرأة في الدول التي تسيطر عليها فكرة المساواة الشيطانية تعيش حياة ملؤها الضغوط النفسية التي تنهك قواها وتحملها فوق طاقتها.

وبذلك نعرف أن دعاة المساواة هم في لحقيقة القتلة الحقيقيون للمرأة والمهمشون الحقيقيون لها، ومن يرغب في النهاية بتهميشها في المجتمع وعدم إعطائها دورها الحقيقي الذي خُلقت من أجله، وبذلك صحَّ أن نصفهم بأنهم دعاة الجاهلية الحديثة التي تظلم المرأة وتكبل حريتها وتحملها أعباء نفسية فوق قدرتها.

ناهيك عن الدوافع الحقيقة التي ليس من الصعب التعرف عليها، والتي تتلخص بجعل المرأة سلعة رخيصة يلهو بها الرجل في كل مرافق الحياة ويجدها حيث يريد من دون عناء، فيتسلى بها وقتما شاء ويتركها عندما يريد، وهذا للأسف هو واقع الحال الذي عَمي عنه مُتَّبِعو الشهوات وسار خلفهم من غرته الدنيا.

أهمية صلاة الجماعة بما هي مظهر اجتماعي:

ثم إن نفس الاجتماع للصلاة في مكان واحدٍ، له من الفوائد الشيء الكثير، من ذلك:

أولاً: إن ذلك لا يكاد يتهيأ لمجتمعٍ من المجتمعات ولا تكاد تُجدي لتحصيله مختلفُ الغايات والدعوات، ولو اتفق حصوله فإنه يفتقر لعنصر الدوام والاطراد، ولو اتفق له الدوام فإنه لن يتاح لهم الاجتماع في هذه الأزمنة المتقاربة، هذا بالإضافة إلى نوع الغاية وما تكتنزه من معان سامية ومقاصد عالية، أعني التقرب إلى الله تعالى والحرص على تحصيل ثوابه ورضوانه، وذلك وحده كافٍ لأن يتأهلوا للتسديد والعناية الإلهية وأن يكونوا محلاً لتلقي الهداية والألطاف الإلهية المنتجة بذاتها للشعور بالتواد والألفة وهو ما يدعو للتكافل والتراحم وحينئذٍ تشتدُّ اللُّحمة وتتوثق العلائق ويصبحوا نسيجاً واحداً متماسكاً يَشُقُّ على مبتغي الفتنة نقضه وفتله.

اجتماع الإخوان كما أفاد أمير المؤمنين عليه السلام مغنم كبير، ذلك لأن الاجتماع خصوصاً إذا كان مطرداً يُساهم في إيجاد الألفة والشعور بالأنس وارتفاع الحواجز وحينئذ تصبح الألفة والمؤانسة أحد بواعث الاستمرار، كما هو مقتضى طبع الإنسان، والألفة عنصر شديد الأثر في البناء الاجتماعي، فبها تذوب الأضغان والأحقاد وينتفي التحاسد والتنافر، وليس من آفة أكثر تدميراً للبناء الاجتماعي من الأضغان والتحاسد.

ثانياً: ثم إن هنا أثراً يترتب على الألفة والأنس وهو الشعور بالحياء والخجل من ممارسة ما يشين، فالنفور والاستيحاش ينتجان الشعور بعدم المبالاة ونقيض ذلك ما تنتجه الألفة والمؤانسة.

فإذا ما أنس الإنسان بأخيه راقبه وتحاشا مَسَاءته، وذلك ما ينتج اختفاء الكثير

من المعاصي والكثير من صنوف الظلم والتعسف والغش والاحتيال والبخس والتي هي من أقسى معاول النقض للبناء الاجتماعي.

ثالثاً: وثمة أثر آخر يترتب عن اجتماع المؤمنين للصلاة هو التعرُّف على أحوال بعضهم بعضاً فذلك هو طبع الإنسان إذا ما أَلِف أحداً أو كثرت مصادفته لرؤيته، فإذا ما أضيف لذلك الباعث الديني والوازع الأخلاقي الذي أكدته مواعظ الأئمة عليهم السلام وإرشاداتهم، فإن التعارف حينئذٍ سيكون بدافع من الشعور بالمسؤولية، وذلك ما يقتضي اعتبار التعارف وسيلة للتراحم والتكافل والمواساة من جهة، والتناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من جهة أخرى، وكلٌ من الأمرين يقعان في سياق تشييد البناء الاجتماعي، بل هما من أركانه الركينة، فكل مجتمع لا يقوم على أساس التراحم والتناصح فهو مجتمع متآكل متهرئ لا يكاد يقاوم أي أزمة مهما حقرت.

رابعاً: والأثر الآخر المترتب على الاجتماع والتلاقي الدائم هو تقارب وجهات النظر في مختلف القضايا والشؤون فإنَّ الاختلاف وكذلك الشقاق غالباً ما ينشأ عن دوافع نفسية، والمفترض أن دوام التلاقي القائم على أساس التراحم والتناصح والمقتضي للمؤالفة والمؤانسة يُلغي الكثير من بواعث الأزمات النفسية، وحينئذٍ سيكون الاختلاف لو وقع مبتنياً على قناعات ومبررات عقلائية وتلك ظاهرة صحية لأنها ستدفع في اتجاه البحث عن المشتركات، نظراً لكون الغرض من الاختلاف هو تحرِّي الأصلح، وسيدفع ذلك أيضاً في اتجاه المحاورات الجادة المبتغية للوصول إلى ما هو أكثر صواباً، ولو اتفق عدم الانتهاء إلى الوفاق فإن ذلك لن يتفق في جميع القضايا والشؤون وتبقى أخلاقية الخلاف هي الحالة التي ينتظم فيها جميع شرائح المجتمع ومكوناته، فلا يكون من خوف على مجتمع يحترم كل واحدٍ منهم قناعات الآخر وينصف كل واحدٍ منهم الآخر من نفسه فلا يزايد ولا

يتبلَّى عليه ولا يستفزُّه ولا يتجنى عليه.

هذا ولإمام الجماعة أثر فعال في ذلك كله، ومواعظه تساهم في الحدِّ من البواعث النفسية للاختلاف، وبصيرته وإرشاداته تُضيِّق من مساحات الاختلاف وبهديه وحسن تدبيره تسود المجتمع أخلاقية الخلاف وبعلمه وفقهه يتمكن من إيقاف الناس على ما هو أصوب وأنفع.

خامساً: والعنصر الآخر في صلاة الجماعة والذي نرى أن له أثراً في البناء الاجتماعي فهو المظهر لهذه العبادة، أعني: مظهر الهيبة والوقار اللذين يكسوانها مما يبعث في قلوب الآخرين رهبة أو تقديراً ينشأ عنها الشعور بالاعتزاز عند المؤمنين، فتشتدُّ بذلك لحمتهم وتتوثق علائقهم، إذ سيدرك كلُّ واحد منهم أن مصدر عزَّته وهيبته يكمن في تمسُّكه بدينه ومجتمعه، وبذلك تكون صلاة الجماعة أحد دلائل الهوية والوجود ومعبراً لحماية الكيان والكثير من الحقوق.

سادساً: ثم إن هنا أثراً متصلاً بهذا العنصر وهو الاستطالة بصلاة الجماعة على مواجهة الانحرافات الاجتماعية التي قد تطرأ نتيجة عبث المفسدين أو كيد المضلين، فمقاطعة أهل البدع والضلالات والتشهير بهم ينطلق من صلوات الجماعة كما أنَّ أوكار الفساد محال الفتنة التي يتعمَّد الآخرون زرعها في الأوساط الاجتماعية يمكن لصلوات الجماعة أن تُساهم في استئصالها أو الحدِّ من أثرها.

وبذلك ننتهي إلى هذه النتيجة وهي أن من أهم الآثار المترتبة على إقامة صلوات الجماعة هي تقويم البناء الاجتماعي وحمايته عن الانتقاض.

الفصل الثالث

المسجد
مركز الحياة الاجتماعية

لقد كانت المساجد ـ وما زالت ـ تعتبر مركزاً من المراكز المهمة في الحياة الاجتماعية، والتي من خلالها يتم إدارة شؤونها المختلفة ذلك أن من يتصدى لإدارة شؤون الناس والمجتمع له طريقان في ذلك:

ـ فإما أن يستبدَّ في رأيه ضارباً عرض الجدار كل آمال وتطلعات المجتمع الذي يعيش فيه، فيكون حكماً دكتاتورياً مستبداً يحاول الحاكم من خلاله أن يفرض رأيه بالقوة على الآخرين، شاؤوا أم أبَوا، وليجلب من هذا الحكم النفع لنفسه ويسد الشعور بالنقص الذي يعاني منه، إذ أن من يكون حكمه بهذا الشكل لا بد أن يكون شخصاً غير سوي ولا متحلٍ بآداب الإسلام والإنسانية، التي تفرض على الإنسان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويكون قد حكم على نفسه بتسلط أهوائه عليها وهيمنتها على قراره، فلم يعد إنساناً حقيقة بل تحول إلى حيوان يرضي غرائزه من خلال السلطة، ولذا شبّه الله تعالى الكافرين الذين يرفضون منطق القرآن الداعي إلى الإنسانية والحق بالأنعام بل هم أضل سبيلاً.

ـ أو يكون ممن يعتبر المنصب وسيلة لتحقيق العدل في المجتمع وتحقيق آمال أفراده، فهو يعُدّ المنصب وسيلة خدمة للآخرين، وليس آلة للتسلط، وعليه فهذا الفرد هو من القادة الذين تجردوا عن أهوائهم ونزعاتهم الشخصية ونذروا أنفسهم لخدمة المجتمع، فكانوا بحق المعبِّر الحقيقي عن الإنسان الصالح الذي أراده الله تعالى خليفة له في أرضه، وقد ذُكر كل من النموذجين في كتاب الله تعالى، فالأول هو الفرد الغالب الذي توقعته الملائكة حينما قالت: ﴿**قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ**﴾[١]، وأما الثاني: فعبرّ عنه الله تعالى بما يشعر بالندرة والإعداد إلى آخر الزمان، بقوله تعالى: ﴿**وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**﴾[٢].

---

(١) سورة البقرة: آية ٣٠.

(٢) سورة القصص: آية ٥.

وعلى كل حال فالصنف الثاني يهتم بآراء الناس الذين من حوله، بل يستمد قوته منهم، وهو بعد ذلك لا يستغني عن مشورتهم ونصحهم، وكذلك عن معرفة أحوالهم ومشاكلهم.

وكل ذلك يقتضي التواصل معهم والاجتماع بهم بشكل دوري، ولذا كان من أحسن وسائل تحقيق ذلك في العصر الأول للإسلام هو استغلال الصلاة جماعة للتداول في أمر المسلمين، فكان النبي ﷺ يستغل فرصة تجمعهم ليلقي لهم البيانات المهمة أو يستمع لنصحهم في بعض الأمور المصيرية، كما حصل في قرار الحرب في بدر فقد اتخذ هذا القرار الحاسم في المسجد بعد أن سمع لعدد من المسلمين وأخذ برأيهم.

هذا كله في الجانب الحياتي فيما يتعلق بأمور الدنيا، أما ما يتعلق في البعد الأخروي للحياة فدور المسجد فيه مما لا يكاد يخفى فهو بيت الله في الأرض هذا البيت الرمزي الذي هو كناية عن مركز الإشعاع الروحي والمعنوي الذي يفيض على رواده وزائريه بالروحانية والفضائل ويُشعرهم بالقرب من الله قربا حقيقيا وليس مجرد ادعاء، فهو ليس من الكنايات التخيلية التي يراد منها التأثير على السامع وخلق حالة نفسية عنده من هذا اللفظ، بل هو يعبّر عن معنى حقيقي وراءه هو كونه مركز الهداية والإشعاع الروحي في المجتمع، غاية الأمر استعير له لفظ البيت المنسوب إلى الله باعتباره محلاً لفيوضاته وآثاره الخاصة من الرحمة للعبد والقرب منه وتحصيل الثواب له، وإلا فالله منزه عن الجسمية والحلول في المكان أو الاحتياج إليه.

ومنذ ذلك الوقت ولحد الآن يلعب المسجد دوراً مهماً في الحياة الاجتماعية للمسلمين في مجالات شتى، قد تتغير قلة وكثرة بحسب الأوقات والأمكنة، ولكنها تبقى من أهم الأماكن والمناسبات التي يمكن أن تُستغل لصالح المجتمع وبنائه

البناء المطلوب عند الله تعالى.

وهنا نعرض لبعض الأعمال التي تساهم في الحفاظ على حيوية المسجد ودوره البارز في الحياة الاجتماعية، والتي تؤشر إلى مدى ارتباط الإنسان بخالقه ورغبته بالتقرب منه ونيل رضاه، فقد ورد من الروايات في هذا المجال الشيء الكثير الذي ينبه على أهمية المساجد وكثير الفضل في رعايتها والاهتمام بها.

- عمارة المسجد:

إن من أفضل الأعمال عمارة المساجد والاهتمام ببنائها فإنها بيوت الله ولا ينبغي إهمالها أو ترك صيانتها، قال رسول الله ﷺ: (**من بنى مسجداً في الدنيا أعطاه الله بكل شبر منه** ـ أو قال بكل ذراع منه ـ **مسيرة أربعين ألف عام مدينة من، ذهب، وفضة، ودر، وياقوت، وزمرد، وزبرجد، ولؤلؤ**)[١]، وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: (**إن الله إذا أراد أن يصيب أهل الأرض بعذاب قال: لولا الذين يتحابون بجلالي، ويعمرون مساجدي، ويستغفرون بالأسحار، لأنزلت عذابي**)[٢]، وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: (**من بنى مسجداً كمفحص**[٣] **قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة**)[٤].

وينبغي أن يكون القائمون على أُمور المساجد من المتحلّين بالأدب وحسن الخلق، فهو في حد ذاته يعتبر دافعاً مشجعاً على حضور المصلين، ليكون المسجد مصدراً للأُلفة والمحبة والرحمة.

- تنظيف المسجد:

ولا ينبغي الشك في مطلوبية تنظيف المساجد فهو أمر في غاية الوضوح، فما دام المسجد منسوباً إلى الله تعالى فمن غير الممكن أن يترك من دون تنظيف، بل

---

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٥، ص٢٠٤.

(٢) المصدر السابق: ج٥، ص٢٠٥.

(٣) والمفحص هو الموضع الذي تكشفه القطاة وتليّنه بصدرها لتبيض فيه.

(٤) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٥، ص٢٠٤.

المفروض أكثر من ذلك بأن يبالغ في تنظيفه والاعتناء به فهو واجهة الدين وهوية المسلمين ومركز تجمعهم وعبادتهم، فعن الإمام الصادق، عن آبائه عليهم السلام، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (**من قَمَّ**[١] **مسجداً كتب الله له عتق رقبة، ومن أخرج منه ما يقذي عيناً**[٢] **كتب الله عز وجل له كفلين من رحمته**)[٣]، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (**من كنس مسجداً يوم الخميس ليلة الجمعة فأخرج منه التراب ما يذر في العين**[٤] **غفر له**)[٥].

- إضاءة المسجد:

وتعد إضاءة المسجد من جملة مظاهر الزينة والاعتناء بالمكان، وأيضاً مما يُرغِّب في الحضور في المساجد، وهو بعد ذلك أمر مرغوب فيه من قبل الشارع، يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: (**من أسرج في مسجد من مساجد الله سراجاً لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوء من ذلك السراج**)[٦].

- تطهير المسجد:

والمراد بالتطهير هنا هو المعنى الشرعي، وليس مجرد التنظيف من الأوساخ والقذارات العرفية، بل المراد به تطهيره من النجاسات الشرعية، وهو أمر لازم أفتى به جميع الفقهاء، بل هو أمر مقدم على إقامة الصلاة، فلو دار الأمر بين إقامة الصلاة ـ مع سعة وقتها ـ وبين إزالة النجاسة من المسجد تعين على المكلف إزالة النجاسة لفورية وجوبها، وعدم فورية وجوب أداء الصلاة، لذا يحكم العقل بتقدم إزالة النجاسة على الصلاة، وبهذا أفتى الفقهاء رضي الله عنه أيضاً، وننقل بعض ما يتعلق

---

(١) أي: كنسه.

(٢) أي: أخرج من المسجد القليلَ من الأوساخ بمقدار ما يدخل في العين ويسبب لها الأذى، والقذى: اسم للغبار أو الشائبة التي تدخل في العين فتسبب ألمها، قال أمير المؤمنين عليه السلام: فصبرت وفي العين قذى ...

(٣) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٥، ص٢٣٩.

(٤) أي: بمقدار ما يُذر بالعين.

(٥) الأمالي للشيخ الصدوق: ص٥٩١.

(٦) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٥، ص٢٤١.

بالمقام من فتاوى سماحة آية العظمى السيد السيستاني (دام ظله):

ـ يحرم تنجيس المساجد وفراشها وبنائها من الداخل وسائر آلاتها التي تعد جزءً من البناء كالأبواب والشبابيك، وإذا تنجّس شيء منها وجب تطهيره، بل يحرم إدخال النجاسة العينية غير المتعدية إليه إذا لزم من ذلك هتك حرمة المسجد مثل وضع العذرة والميتة، ولا بأس به مع عدم الهتك، ولاسيما فيما يعدّ من توابع الداخل، مثل أن يدخل الإنسان وعلى ثوبه أو بدنه دم لجرح أو قرح أو نحو ذلك[١].

ـ تجب المبادرة إلى إزالة النجاسة من المسجد، بل وآلاته وفراشه، حتى لو دخل المسجد ليصلي فيه فوجد فيه نجاسة وجبت المبادرة إلى إزالتها مقدماً لها على الصلاة مع سعة الوقت، لكن لو صلى وترك الإزالة عصى وصحت الصلاة، أما في الضيق فتجب المبادرة إلى الصلاة مقدماً لها على الإزالة[٢].

- تعطير المسجد:

وهو مظهر آخر من مظاهر الاهتمام والاعتناء بالمكان، وكذلك يساهم في زيادة الإقبال على المساجد، فكما أن النفس تنفر من الرائحة الكريهة فهي تنجذب إلى الرائحة الطيبة بمقتضى فطرتها، والإسلام عموما حث على التطيب سواء في البدن أو الملابس أو الأمكنة واعتبر الطِيب من الأمور المحببة عند الشارع، قال رسول الله ﷺ: **(من تطيّب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك الأذفر، ومن تطيّب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة)**[٣]، وقال الإمام الصادق عليه السلام: **(أربع من سنن المرسلين: التعطر، والسواك والسناء، والحناء)**[٤]، وعنه عليه السلام أنه قال: **(العطر من سنن المرسلين)**[٥]، وعنه عليه السلام: **(إن الله تعالى يحب**

---

(١) منهاج الصالحين للسيد السيستاني: ج١، ص١٤٥، رقم المسألة٤٣٣.

(٢) المصدر السابق: ج١، ص١٤٥، رقم المسألة٤٣٤.

(٣) المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء للفيض الكاشاني: ج٨، ص١٠٥.

(٤) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٢، ص١٠.

(٥) الكافي للشيخ الكليني: ج٦، ص٥١٠.

الجمال والتجميل، ويكره البؤس والتباؤس، فإن الله عز وجل إذا أنعم على عبد نعمة أحب أن يرى عليه أثرها.

قيل: وكيف ذلك؟ قال: **ينظف ثوبه، ويطيب ريحه، ويجصص داره، ويكنس أفنيته، حتى إن السراج قبل مغيب الشمس ينفي الفقر، ويزيد في الرزق)**[١]، وروي عنه عليه السلام أنه قال: (**صلاة متطيّب أفضل من سبعين صلاة بغير طيب)**[٢].

- عدم زخرفة المسجد:

الزخرفة في أصلها مأخوذة من الزُخرُف وهو اسم للذهب، واستعملت فيما بعد في كل أشكال التزيين في الأبنية في نفس بنائها، سواء باستعمال الألوان أو المرايا أو النقوش والصور وغيرها، وهو أمر مكروه في المساجد لأنها مظهر دنيوي يمثل التعلق بالدنيا، وهو شيء ينافر المسجد، إذ هو محل لتذكر الآخرة والتقرب إلى الله بها، وأما الدنيا فهي مذمومة وكل ما يحبب إليها مذموم أيضاً، ففي الحديث: حب الدنيا رأس كل خطيئة، وأما فيما يتعلق بالمسجد، فعن عمرو بن جميع قال: (سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الصلاة في المساجد المصورة؟ فقال: **أكره ذلك**...)[٣].

- عدم تذهيب المسجد:

ويفهم مما سبق أن كراهة تذهيب المساجد ـ وربما الحرمة أيضاً ـ تفهم بالأولوية، لأنها حقيقة الزخرفة وأصلها، وربما كان سبب ذلك، بالإضافة إلى ما سبق من أنها مظهر من مظاهر التعلق بالدنيا، أنها من أساليب البناء المتعارفة في أماكن عبادة الكفار وقصور ملوك الدنيا والسلاطين الجائرين، وهم في الحقيقة أعداء الله تعالى، فلا يمكن أن يقبل بحال أن تشابه بيوته في الأرض بيوت أعدائه الجبارين والمستكبرين، ولتعبر كذلك عن تواضع أتباعه في مقابل أتباع غيره، فقد قال الله

---

(١) الأمالي للشيخ الطوسي: ص٢٧٥.

(٢) الكافي للشيخ الكليني: ج٦، ص٥١١.

(٣) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٥، ص٣١٥.

تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[١]، وفيما يتعلق بالمساجد فقد قال رسول الله ﷺ: (**لا تزخرفوا مساجدكم، كما زخرفت اليهود والنصارى بِيَعَهم**)[٢].

وبهذا نصل إلى غاية ما أردنا بيانه من الاهتمام بالمساجد باعتبارها مركزَ الحياة الاجتماعية في الإسلام والتي تُعبِّر عن ارتباط المؤمنين بقياداتهم الدينية في نفس الوقت الذي يرتبطون فيه بخالقهم والذي يُعبِّر عنه رغبتُهم في الحضور في بيوته التي رفعها في هذه الحياة وأذن أن يذكر فيها اسمه، والتي تقام فيها أعظم شعائر الإسلام طُرّا وهي صلاة الجماعة، التي أريد لها أن تكون محورَ اهتمام المؤمنين والمدرسة الإسلامية التي يتخرج منها القياديون والمؤمنون الواعون لهذه الحياة والمتحلُّون بفضائل الصفات وذوو البصيرة والتقى، والسبب المتصل بين الأرض والسماء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

(١) سورة القصص: آية٨٣.

(٢) مستدرك الوسائل للمحدث النوري: ج٣، ص٣٧٢.

الفهرس